منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (1857) السنة السابعة - السبت (24) تموز 2010

2

محمود امين العالم
إشراقة الفكر العربي

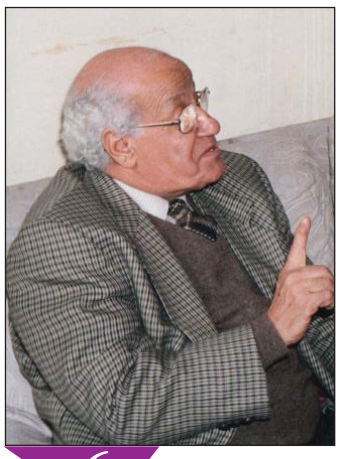

6

محمود امين العالم
تأثرت بالحلاّج
المناضل

12

محمود امين العالم
المثقف الملتزم بقضايا
الناس

محمود أمين العالم

محمود أمين العالم

إشـــــراقـــة الـــفـــكـــر الـــعـــربـــي

شاكر فريد حسن

فقدت الحياة الثقافية والفكرية العربية، في الاسبوع الماضي، ثلاثة مبدعين كبار وهم: المفكر والناقد المعروف محمود امين العالم، والروائي المصري يوسف ابو دية، والشاعر السوري كمال الشرابي. وبوفاتهم تهوي ثلاثة نجوم كانت بارزة في عالم الفكر والادب، وتخبو ثلاثة مشاعل انارت طويلا دروب الحق والخير من اجل سعادة الانسان ورفاهيته وكرامته.

والراحل محمود امين العالم هو واحد من رجالات وائمة الفكر اليساري التقدمي الحر والمتنور العربي، واهم المثقفين والاكاديميين العرب على الاطلاق، وترجع قيمته واهميته الى الادوار الجذرية المتعددة التي قام بها في مجالات مختلفة اسهمت في نهوض الانسان العربي من مستوى الضرورة الى مستوى الحرية، ومن الظلم والقهر الى العدل، ومن التخلف الى التقدم، ومن ثقافة الاظلام الى ثقافة الاستنارة. انه هرم فكري مؤدلج ومقاتل دفاعا عن العقل وكبرياء الفلسفة وشرف الانسان وحريته المفقودة، وهو من اجسر دعاة العقلانية في الفكر، والابتكار والتجديد في الابداع، والاستقلال في الرأي والتحرر في البحث الادبي والتمرد على التقاليد الجامدة.

عاش العالم، وبعمق، متغيرات العصر وتفاعل معها تفاعل حياة ووعي، واغنى واقعنا الثقافي، وقدم طرحا مستنيرا واسئلة خلافية ورؤية جديدة تهدف الى اثراء الفكر الديني، وخاض المعارك السياسية والفكرية والنقدية والجولات الفلسفية، وعالج الكثير من قضايانا العربية المعاصرة والمختلفة، معالجات ذات عمق وشمول، وظل في شيخوخته شاب الفكر والعقل والوجدان، يكتب ويفكر ويتأمل بنفس حماس فترة الشبوبية.

ومحمود امين العالم شخصية فكرية وثقافية مرموقة، غنية من الجوانب الاجتماعية والثقافية كافة، وهو وريث القيم النبيلة والاخلاق والشجاعة، تميز بالدماثة والطيبة والوداعة وتمتع بالشجاعة الفكرية والمبدئية الحقة والاستقامة والتواضع الانساني، وانخرط العالم في الحياة السياسية والفكرية والثقافية والنضالية منذ فتوته وشبابه المبكر، وشارك فيها بفعالية ملحوظة منذ التحول الاجتماعي والازدهار الثقافي الكبير الذي جرى في اواخر الخمسينيات والستينيات وانتمى للفكر الماركسي العلمي وللثقافة النقدية التقدمية والديمقراطية الحرة المغايرة، فسبح في وجه التيار السائد وغرد خارج السرب، وعرفته السجون والمعتقلات المصرية مناضلا عنيدا، وقضى حياته مدافعا عن الحرية والسلم والتقدم والعدالة الاجتماعية واعلاء كلمة الانسان في الفكر والعمل، فكانت اعماله اضاءة في سماء الفكر الانساني وحياته خطوة موفقة في طريق النضال من اجل الغد المشرق والمستقبل الافضل لكل الكادحين والمسحوقين والمستضعفين في الارض الرازحين تحت نير الظلم والقهر والفقر والجوع.

ومحمود امين العالم هو رجل المواقف الثابتة والراسخة، ومحارب شجاع على جبهة الحرية والكرامة الانسانية، ومناضل تقدمي صلب، اقترن القول عنده بالعمل، وهو مفكر عميق الثقافة وضع الفكر العربي امام قاطرة العقل، واستوعب تراث الشرق ومحوره العربي الاسلامي بقدر ما استوعب الفكر الايديولوجي الجدلي كأحد تجليات الفكر الغربي الحديث من الطفولة الى الشباب الى الشيخوخة النابضة، ووقف في طليعة المفكرين العقلانيين النقديين وتفرد بين الاكاديميين والمثقفين العرب، بمطارحاته السجالية وابحاثه المتشعبة ودراساته القيّمة، ويؤكد ذلك ما كان له من مساهمات نقدية وفكرية في جبهة الفكر العلمي التقدمي المنحاز الى الانسان العربي المقهور والمستلب والمنهوب في اعماقه.

وكان محمود امين العالم طليعيا في الفكر والنقد والادب والبحث، لا مراوغا وانتهازيا، في زمن كثر فيه المتزلفون والمراوغون والانتهازيون والمرتزقة بين المثقفين، كما كان مثقفا صاحب موقف واضح وخاض المعركة الى جانب الفكر الانعتاقي والدمقراطية وحرية التعبير والتفكير والابداع.

وآمن العالم بان لا مستقبل لنا بغير سيادة الفكر العقلاني العلمي في مختلف مجالات حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية غير المقصودة في ارادة المجتمع ووسائل الاعلام والتثقيف والتعليم، مع استيعابنا لتراثنا القديم استيعابا نقديا، وهذا لا يعني التبعية للفكر العربي بشكل مطلق، والعمل على تجاوزه بتنمية قدراتنا على الابداع الذاتي في مختلف المجالات حتى نصبح مبدعين للمعارف.

ويشير العالم الى ان خطاب العقل في الثقافة العربية لم ينقطع منذ مئة وخمسين عاما على الاقل، وان الفرص القادمة لتوغل الخطاب العقلاني المستنير في المجتمعات العربية متعددة وكثيرة، خصوصا بعد الثورة التي حققها الغرب في الاتصالات السريعة وبعد تطورات كثيرة لم تكن متاحة في زمن طه حسين وكانت ضئيلة التأثير في زمن تكون نصر حامد ابو زيد، لكنها الآن تشير الى ان القادم سيكون في صالح العقل والتفكير المستنير.

ومحمود امين العالم كان من ابرز النقاد اليساريين في مصر والعالم العربي، ودعاة الادب الملتزم.. ادب الحياة والواقع، ومن رواد الاتجاه الواقعي النقدي في الثقافة المصرية والعربية. وفي دراساته ومقالاته النقدية نجده مدفوعا بهاجس البحث في العلاقة بين ما يحمله الأثر الادبي وبين الواقع الاجتماعي، وانه يغلب قضية المضمون على الشكل معتبرا ان المضمون هو المهم والاساس، وان المضمون هو الذي يقرر الشكل الفني.

وللعالم الكثير من المقالات الفكرية والادبية المتعددة المنشورة في الادبيات والدوريات والمجلات العربية بالاضافة الى عدد من العناوين والمؤلفات، اهمها كتاب "في الثقافة المصرية" الذي وضعه مع عبد العظيم انيس، وهو سجال مفتوح مع عميد الادب العربي طه حسين وممثلي تياره ومع الكتاب المصريين لعدم تجاوب ادبهم مع الحركة الوطنية الثورية، وهذا الكتاب يعتبر من اهم كتب النقد الماركسي في مصر والعالم العربي، علاوة على كتبه "معارك فكرية" و"فلسفة المصادفة" و"الثقافة والثورة" و"تأملات في عالم نجيب محفوظ" و"الوجه والقناع في مسرحنا العربي المعاصر" و"الانسان موقف" وسواها الكثير.

وفي كتاباته يطرح محمود امين العالم الكثير من القضايا والظواهر البادية في الساحة الثقافية العربية، ويبرزها بوصفها علامات سلبية من شأنها اعاقة تطور الفكر العربي تطورا ايجابيا، وكان العالم ممن انتقدوا كتاب طه حسين "مستقبل الثقافة العربية" عند صدوره، وكان لانتقاده هذا دوي هائل في اوساط المثقفين والمتأدبين في ستينيات القرن الماضي.

والأصالة بالنسبة لمحمود امين العالم لا تعني الماضي ابدا، وانما الاصالة عنده تعني "الابداع" وباعتقاده ان اصالة الانسان، المبدع خاصة تكون بقدر حسن ادراكه لخبرته الحية (الآنية والتراثية والسيكولوجية، والاجتماعية والعصرية) وتكون بقدر اكتشافه لقوانين حركة الواقع الاجتماعية والانسانية وللعلاقات الضرورية بين الاشياء والظواهر، واكتشاف القسمة الرئيسية للحظة المعينة، وهذا هو محك الاصالة والمعاصرة.

لقد رحل محمود امين العالم بعد حياة حافلة بالعطاء العظيم والابداع الدائم التوهج، تاركا الم الفقدان ومخلفا تراثا انسانيا نقديا خالدا لا يموت، ورحيله خسارة فادحة للحركة الوطنية اليسارية وللفكر العربي التقدمي المتنور والثقافة النقدية العربية، فرحمة الله عليك يا من مت واقفا كالاشجار.

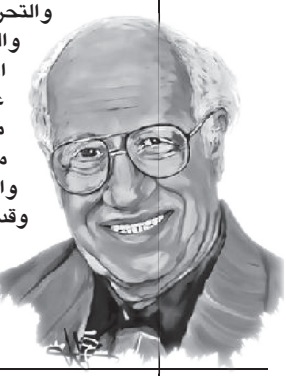

للعالم الكثير من المقالات الفكرية والادبية المتعددة المنشورة في الادبيات والدوريات والمجلات العربية بالاضافة الى عدد من العناوين والمؤلفات، اهمها كتاب "في الثقافة المصرية" الذي وضعه مع عبد العظيم انيس، وهو سجال مفتوح مع عميد الادب العربي طه حسين وممثلي تياره ومع الكتاب المصريين لعدم تجاوب ادبهم مع الحركة الوطنية الثورية، وهذا الكتاب يعتبر من اهم كتب النقد الماركسي في مصر والعالم العربي

المتمرد

د. عاصم الدسوقي

عندما تابعت حياة محمود أمين العالم منذ نشأته وحتى انخراطه في صفوف الشيوعيين، وقد عرفت جانبا منها في اكسفورد عندما التقينا في صيف ١٩٧٤ ، تذكرت ما قاله أديبنا توفيق الحكيم في شرحه لمعني اليمين واليسار في كلمات بسيطة من أن الأصل في الإنسان أنه يميني، وفي اللحظة التي يتمرد فيها على واقع حياته وظروفها يصبح يساريا، أي ينتقل من حافة اليمين الى اليسار.

المعني أن الإنسان في طفولته وصباه يعيش تحت سلطة الأسرة يأتمر بأوامرها في النهي عن أشياء والسماح بأشياء دون أن يكون له رأي فيما يأخذ به وفيما يمتنع عنه. ولكن عندما ينضج تفكيره خارج البيت مع رفاق المدرسة وصحبة الشارع، وتتسع آفاق معرفته من تجارب الشعوب الأخرى، يبدأ في عقد المقارنات بين هنا وهناك، ويبدي كثيرا من الرفض لما هو قائم ويطالب بالتغيير، يصبح في نظر الذين يعرفونه متمردا آبقا لعب الشيطان برأسه.

نشأ محمود العالم في مناخ ديني في أحضان القاهرة الفاطمية ونجده ينجذب الى تصوف الحلاج، ذلك المتمرد على الطقوس الشكلية في الدين "والذي لا يؤمن بقوة مفارقة.."

وفي تلك الأثناء قرأ نيتشه ووجد فيه التقاء روحيا مع الحلاج .. فالحلاج يقول بالإنسان الكامل، ونيتشه يقول بالإنسان الأعلى، أي لا توجد قوى مفارقة تفرض عليه مشيئتها. وأثناء معايشته لمثالية الحلاج-نيتشه، قرأ كتاب "آفاق العلم الحديث" ليعقوب صروف رئيس تحرير المقتطف فنراه يهبط من علياء المثالية الى عالم المادة.

وفي قسم الفلسفة بالجامعة حيث كانت المقررات الدراسية بعيدة عن الفلسفة المادية والبرجماتية بحكم المناخ السياسي -الثقافي القائم آنذاك، يتعرف محمود العالم أكثر وأكثر على أركان المدرسة المثالية في التفكير (برجسون وهيجل). وينهي دراسته الجامعية ويمضي في طريق الدراسات العليا بمثاليته التي بدت واضحة في اختياره لموضوع رسالته للماجستير "نظرية المصادفة في الفيزياء الحديثة". ولما كان جوهر التفسير المثالي للظواهر يقوم على المصادفة وليس على الأسباب المادية والعقلية، فإن محمود العالم أراد من موضوع رسالته أن يثبت أن المصادفة تحكم كل شيء حتى الظاهرة الطبيعية (الفيزياء)، وأن العلم ليس موضوعيا. وتلك في تقديري قمة المثالية، وحجته في تحديد الموضوع بهذا الشكل أن العلم مصدره الإنسان، وأن الإنسان لا يمكن أن يكون آليا أو ميكانيكيا في تصرفه، وأن الإرادة والحرية تحكم تصرفاته واختياراته. مع أن الإنسان آنذاك كان قد عرف أسرار تكوين الظاهرة الطبيعية وتطورها من خلال الملاحظة والتجربة وأصبح يتحكم فيها ويخضعها لمصلحته بعد أن كان يخضع لها، الأمر الذي أدي الى انكماش مساحة التفكير الغيبي في ذهنه لحساب التفكير العقلي المادي.

ثم يقع على كتاب لينين (المادية والنقد التجريبي) خارج سور الدراسة المثالية بالجامعة فضطرب أركان مثاليته ويؤمن بموضوعية العلم ويبادر الى تغيير عنوان رسالته الى "نظرية المصادفة الموضوعية في الفيزياء" ، لكن هذا لم يجعله ماديا تجريبيا. ذلك أن هجوم لويس عوض الدائم على المادية الجدلية والتاريخية جعله يتحاشي الالتزام الماركسي، ويلوذ أكثر ومعه أنيس منصور (بعقلنة) عبد الرحمن بدوي للوجودية. ولكن ما أن قرأ كتاب إنجلز (جدل الطبيعة) وانتهي من بحثه للماجستير، انصرف عن المثالية الى المادية الجدلية تاركا أنيس منصور مع وجودية عبد الرحمن بدوي. وأصبح مقتنعا بالعلم في جانبه التطبيقي الطبيعي، وبالماركسية إطارا منهجيا للتفكير المادي.. والحال كذلك .. كان لا بد وأن ينخرط محمود العالم في صفوف الشيوعيين، واختار الانضمام لمجموعة "النواة" باحثا عن الحرية والعدالة الاجتماعية. غير أنه وهو داخل الحركة الشيوعية ظل محتفظا بروحه المتمردة ضد القولبة التنظيمية. فعندما تقوم ثورة يوليو ١٩٥٢ وتقف ضدها أغلب فصائل اليسار المصري باعتبارها إنقلابا عسكريا فاشيا أبدى احترامه "لنظام عبد الناصر واعتبره وطنيا"، وحدد اختلافه مع الثورة في غياب الديموقراطية وفي استخدام الأسلوب الفوقي في الإجراءات المصيرية مثل الوحدة مع سوريا (فبراير ١٩٥٨).

وعندما صدرت قوانين التأميم الكبرى في يوليو ١٩٦١ وهو في معتقل أبو زعبل بعد هجمة يناير ١٩٥٩ على الشيوعيين، وسمع خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري يصف التأميم "بأنه يسهم في تكوين رأسمالية الدولة

نشأ محمود العالم في مناخ ديني في أحضان القاهرة الفاطمية ونجده ينجذب الى تصوف الحلاج، ذلك المتمرد على الطقوس الشكلية في الدين "والذي لا يؤمن بقوة مفارقة.." وفي تلك الأثناء قرأ نيتشه ووجد فيه التقاء روحيا مع الحلاج .. فالحلاج يقول بالإنسان الكامل، ونيتشه يقول بالإنسان الأعلى، أي لا توجد قوى مفارقة تفرض عليه مشيئتها. وأثناء معايشته لمثالية الحلاج-نيتشه، قرأ كتاب "آفاق العلم الحديث" ليعقوب صروف رئيس تحرير المقتطف فنراه يهبط من علياء المثالية الى عالم المادة.

الاحتكارية .. وأن ميثاق العمل الوطني (١٩٦٢) يمثل الأساس النظري لهذا التحول" ويوافقه على هذا التحليل كثير من الشيوعيين المصريين، وجدنا أن محمود العالم يرفض هذا التحليل ويختلف مع الذين وافقوا عليه، ذلك أنه رأى في الميثاق مشروعا أكبر من مشروع الحزب الشيوعي المصري نفسه. ولهذا لا يجد حرجا في أن يبرق لجمال عبد الناصر من المعتقل قائلا له: "إن التأميمات العظيمة تحتاج لشكل آخر من التنظيم غير الإتحاد القومي لكي يحميها ويحسن تطبيقها"، فكان هذا الموقف في التحليل بداية خلاف عميق بينه وبين الرفاق.

كانت مشكلة محمود العالم وسط الحركة الشيوعية أنه رأى أن ثورة يوليو تمثل تيارا وطنيا ديموقراطيا اشتراكيا، وعلى هذا الأساس يصبح في الإمكان إن لم يكن ضروريا إيجاد وحدة بينها وبين الشيوعيين لتشكيل حزب ديموقراطي وليس حزبا شيوعيا مثلما حدث في كوبا وبلدان أخرى في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ذلك أن الماركسية في مصر -في تقديره- لم تصبح جزءاً من ثقافة المصريين وأنها لم تمصر عكس الصين التي أصبحت الماركسية فيها جزءاً من تراثها الثقافي مثل الكونفوشوسية.

وما أن خرج من المعتقل وتم حل الحزب الشيوعي انضم الى التنظيم الطليعي داخل الإتحاد الاشتراكي، ثم ضمه عبد الناصر الى السكرتارية العامة للتنظيم الطليعي وتولى عدة مسؤوليات ثقافية تنفيذية في رحاب ثورة يوليو.

ولكن .. وكلما كان يجد الأمور تسير على غير ما يشتهي ينبض عرق التمرد داخله يغذيه القلق فنراه يعترف في مقدمة كتابه (الوعي والوعي الزائف) بأن حل الحزب الشيوعي كان خطأ كبيرا، وأن وجود الشيوعيين في أجهزة الدولة من خلال الحزب الديموقراطي الذي آمن بإمكانية تكوينه (أي تحالف الشيوعيين مع الثورة) لحماية الثورة ممن يحيطون بجمال عبد الناصر فكرة خاطئة .. والصحيح أن بقاء الشيوعيين مع الجماهير مختلفين مع عبد الناصر كان كفيلا بحماية الثورة.

وفي ١٩٩٢ وبعد رحلة طويلة من القلق عاوده التمرد مجددا، فنراه يتخلى عن المادية التاريخية، ويرفض أن تطبق نظرية ما على التاريخ "لأن النظرية تتسم بالعمومية والكلية والثبات والاستقرار النسبي، على حين أن التاريخ محصلة عوامل ذاتية وموضوعية متداخلة ومتشابكة ومتفاعلة ومتناقضة تشكل إمكانات مفتوحة". ومن هنا يعجبه قول كارل بوبر بشأن عدم وجود قوانين تاريخية كلية، وبالتالي استحالة أن يكون التاريخ علما. والحال كذلك فإن محمود العالم يلتقي مع المثاليين مرة أخري الذين كان يعبر عنهم زكي نجيب محمود في رفضه للحتمية التاريخية واختلف مع محمود العالم.

وفي تلك المرحلة من إعادة النظر نراه يؤكد أن كارل ماركس لم يقل بالمراحل الخمس المتوالية في حركة التاريخ، وأن ستالين في كتابه "المادية الجدلية والمادية التاريخية" هو الذي أشاع هذا الطابع النسقي الغائي، وأعطاه مشروعية ماركسية زائفة، وخطورتها أنها لا تتعلق فقط بالماضي وإنما بالحاضر والمستقبل. ثم ينتهي الى خلاصة خطيرة لها مغزاها وهي إن المادية التاريخية في التطبيق رؤية مفروضة على التاريخ وليست رؤية مستمدة من دراسة موضوعية عينية للتاريخ.

وبهذا التحليل الأخير فسر محمود العالم (يوليو ١٩٩٢) انهيار الاتحاد السوفييتي وسقوط حكم الحزب الشيوعي لأن الماركسية تحولت الى نسق مطلق مفروض بشكل علوي إرادوي على المجتمع. وبدلا من أن تكون وسيلة لتحرير المجتمع من الاغتراب أفضت الى مضاعفة اغترابه وسجنه في نسق نظري، فأصبحت النظرية التاريخية (الماركسية) نظرية غير تاريخية.

واستمرارا لهذا التحليل ينتهي الى أن النظام الرأسمالي الذي يقوم على العوامل الذاتية والتنافس، رغم أن جوهره الاستغلال والاغتراب، ينجح في تجديد نفسه ومن ثم في الاستمرار لوجود هذه الحرية النسبية، على حين يفشل النظام الإشتراكي في نموذجه السوفييتي بسبب تجاهل العوامل الذاتية والإنسانية مع أن الإشتراكية قامت أساسا بهدف إلغاء الاستغلال وإزالة الاغتراب.

وفي عام ١٩٩٢ أيضا ينتهي محمود العالم الى أن الفكر القومي يغلب عليه طابع الانفعال الاستعلائي المثالي، ويفتقد الرؤية الموضوعية للتاريخ والمجتمع والواقع عامة، ويتغافل عن حقائق الاختلافات والتمايزات العرقية والطبقية والظروف الاجتماعية الموضوعية في "بلادنا العربية"، رغم أنه فكر يتبنى قضية القومية العربية وهي تحرير البلاد العربية جميعا وتقدمها ووحدتها ويناضل من أجل تحقيقها. والصحيح عنده أن الشكل الكونفيدرالي وليس الفيدرالي أو الوحدة هو المناسب في حالة البلاد العربية وقد يؤدي الى أشكال أعمق في ضوء الممارسة.

وهكذا ظل "فريد" (أي محمود العالم) في الحركة الشيوعية المصرية فريدا في الحياة الثقافية بما قدمه من رؤى إبداعية في عالم السياسة والأدب جديرة بالاهتمام والمتابعة، وفريدا في شجاعته في ممارسة النقد الذاتي الذي لولاه لما كانت هذه المقالة التي كتبتها اعترافا بفضله وتقديرا لعلمه.

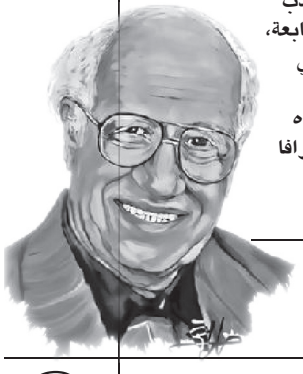

جريدة
الاهالي كانون
الثاني ٢٠٠٩

محمود العالم..

رائد موسوعي لم يمل !

لم يكن الأستاذ محمود العالم الذي رحل عن عالمنا يوم السبت الماضي مفكرا ورائدا فلسفيا ونقديا من طراز خاص فقط، ولكن كان كذلك إنسانا فريدا في إنسانيته وتواضعه، في سمته وشخصيته، كان وراء اكتشاف الكثيرين وإنصاف الكثيرين ليس أولهم نجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور كما لا يعرف آخرهم..

ظل العالم ابتسامة دائمة تشي بالتسامح والتفاؤل، كان يتابع كل شيء، لا يجد الحرج، وهو من كانت معركته مع طه حسين والعقاد وزكي نجيب محمود وعبد الرحمن بدوي وغيرهم مسطورة ومحفوظة في كتب التأريخ الأدبي والفكري دائما، أن يتابع كل جديد وأن يقرأ كل مستجد، فأتت قراءاته لمشاريع الجابري وحسن حنفي والطيب تيزيني ونصر حامد أبو زيد كما قرأ مشاريع سمير أمين وأنور عبد الملك وقسطنطين زريق وعبد الوهاب المسيري وحسين مروة وغيرهم.

د. هاني نصير

اهتم بالجميع من أجل الجميع دون استعلاء أو إقصاء!

كان المفكر والمثقف العضوي، على تعبيرات انطونيو جرامشي، الذي كان دائم الإعجاب به، يمارس الفلسفة والثقافة بروح المناضل، ويمارس الحوار دائما بروح التجريب والمغامرة، بحثا دائما عن الوضوح، وله بيت شعر كثير ما كان يردده يقول فيه: لم تبق إلا خطوة أو خطوتان على الوضوح...الوضوح لم يكن معطى عند العالم ولكن كان اكتسابا وتطورا دائما!

كان مصرا على أن الماركسية التي كان أبرز ممثليها وفلاسفتها العرب، تتبيأ ببيئتها ولا بد، هكذا سمعته وهكذا عرفته، رافضا للتبعية مصرا على أن الخصوصية ينبغي أن تكون البداية، وكان يمثل بالفن اللاتيني، ضد التبعية في كل شئ، ولكنه كان كذلك ضد الانغلاق بحجة الخصوصية!

قضايا فكرية المشروع الأخير على نفقته: منذ منتصف التسعينيات تقريبا واصل العالم إصدار كتاب قضايا فكرية ذلك الكتاب الدوري المهم، وهو كتاب جماعي لم يكن يتقاضى كاتبوه على كتابتهم فيه شيئا، كان يطبعه على نفقته حتى وفاته، وأشهد أنه كان يهدي كثيرا منها دون انتظار مكافأة أو هبة من أحد!

أخبرني ذات مرة أنه يوجه لإصدار قضايا فكرية مدخولات كتبه الخاصة من أجل أن يصدر هذا الكتاب الجماعي الخاص، والمتميز الذي سبق لقراءات نوعية في مجالات مختلفة، كتب لا يمكن أن تفارق مكتبة مثقف مهتم أو متخصص، أصدر منها نيفا وعشرين عددا، تحتوى على مختلف الآراء مع مقدمة ضافية لها، أذكر منها كتاب قضايا فكرية عن الأصولية وعن الفكر العربي على مشارف القرن العشرين، وعن الماركسية والبيرويسترويكا ولغتنا في معركة الحضارة، ونحو عولمة ديمقراطية، وفي كل منها تجد الاختلاف قانونا والتنوع ثراء..تجد سمير أمين كما تجد حسن حنفي والعفيف الأخضر وجابر عصفور، كما تجد الأجيال جميعا واقفة بجواره، فقد كان قامة نلتف حولها ونتفاءل بها، من كل اتجاه، كنا جميعا أبناءه وليس فقط ابنتيه!

أول من اكتشف محفوظ وصلاح عبد الصبور:

كانت ابتسامة محمود العالم دائما تسبقه، تشجع أصدقاءه وتلامذته مهما اختلف معهم، كان موضوعيا في نقده، منصفا في اختلافه، لست أنسى أدبه حين كان يختلف مع المسيري رحمه الله أو يختلف مع حسن حنفي- حفظه الله- في ساحات كلية الآداب، ويجلس أمثالي ممن تعلموا على أيديهم يرون!

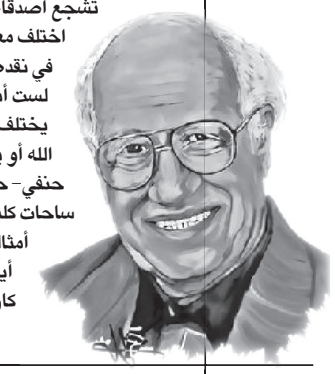

كان أستاذنا محمود العالم وراء أسماء كبيرة كثيرة في الفلسفة والإبداع والنقد الأدبي والصحافة والفكر، كان مع سيد قطب أول من بشر بعبقرية نجيب محفوظ الروائية، ولكن إن كان اكتفى سيد قطب في مرحلة نقده بكتابة مقال فقد أصدر العالم أول كتاب نقدي كامل حول ثلاثية نجيب محفوظ.. كما تواصلت دراساته عنه.

كما كان محمود العالم المدافع الأول عن الشعر الحر حين أصدر صلاح عبد الصبور" الناس في بلادي" الذي اعتبره العقاد نثرا ولم يجزه حين كان يرأس لجنة الشعر، فتصدى له العالم وانتصر للدفاع عنه..

كما ظل المدافع الأول بين نقادنا الكبار عن قصيدة النثر، كان دائم الإعجاب بعبد المنعم رمضان وحلمي سالم ورفعت سلام وغيرهم، كان حائط الصد الذي يركن إليه كل تجريب متى رفضه كهنوت الأدب أو الدين أو السياسة.. فهو من حفظنا عنه الإبداع تشكيل وتجريب، ولكنه ليس تشكيلا في أيديولوجية ولكن أيديولوجية في تشكيل..

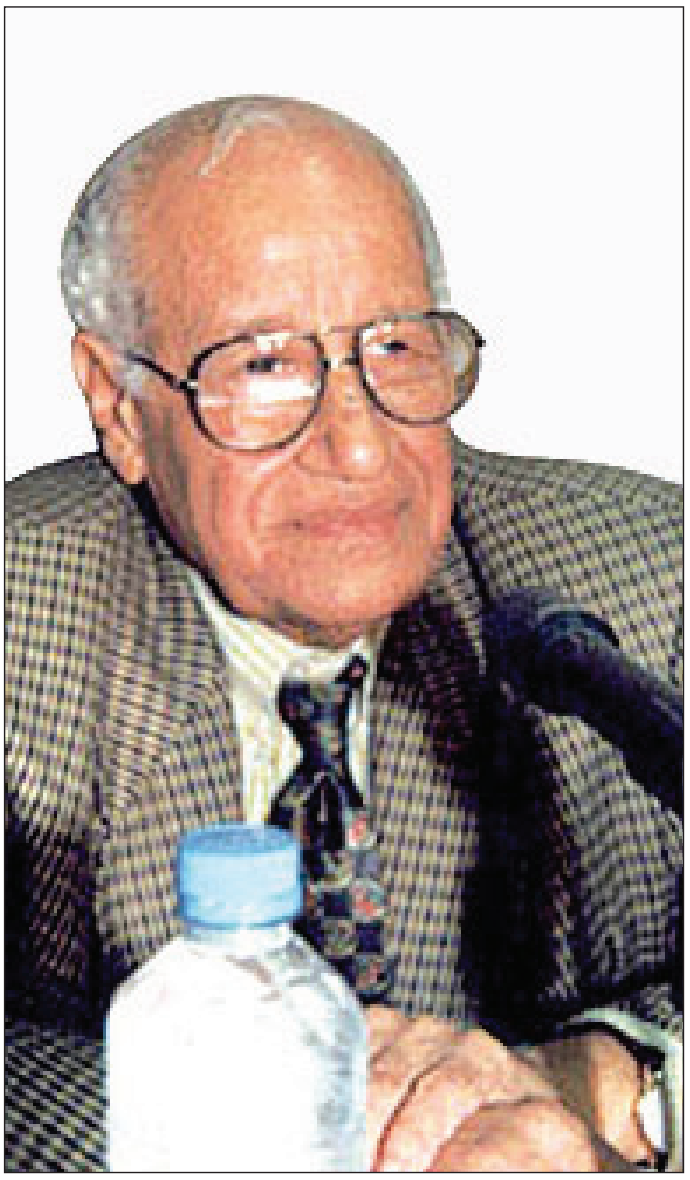

يمعنى أن المباشرة والالتزام لا يناقضان التجريب..

كما كان وراء رفعت السعيد ونصر حامد أبوزيد قبل أن تنفجر قضيته وبعد أن ثار أوارها، كان الوحيد من النقاد الكبار الذي دافع عن قصيدة النثر كما دافع عن أشكال الأدب المختلفة، كان سباقا ورائدا، لا تسجنه الأفكار والقناعات، بل كان دائما يقول: التساؤل الدائم هو الحداثة!

لا أنسى تواضع الأستاذ العالم حين اتصل بي ذات مرة ليستئذن- وهو المفكر الكبير- في بعض التصحيحات والتعديلات التحريرية لغض مثلي صغير حين نشرت إحدى دراساتي في قضايا فكرية، ومثله ما كان ليستئذن فهو أول من شجعني على أن أنشر مقالا في أخبار الأدب سنة ١٩٩٦ بعد أن أبدى إعجابه به..

راتبه معاش من جامعة باريس:

لم يكن للأستاذ العالم مدخول شخصي- حسبما أعرف- سوى معاشه من تدريسه بجامعة باريس ٨، وهو مالم يتجاوز ال ٥٠٠ دولار، بعد هجرته إلى هناك بعد صدام السادات مع مراكز القوى أوائل السبعينيات. وقد فصلته الجامعة المصرية عقب أزمة مارس سنة ١٩٥٤ لمطالبته بالديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته، وحين خرج مرتفقا ذراع لويس عوض متجها نحو ميدان الجيزة، قال خرجنا من حجرات الجامعة لفضاءات الناس..هكذا عاش العالم مهموما بالناس، بحداثتهم وتحديثهم، بهمومهم وثرائهم، اتسعت معارفه ونشاطاته في كل اتجاه.. كما اتسع الناس.. هكذا ابن الدرب الأحمر الذي ولد به سنة ١٩٢٢ ويذكره دائما..

العالم..ديوانان من الشعر:

كان والده شيخا أزهريا قريبا من الجمعية الشرعية، وقد اقترب منها الرجل كذلك، كما كان شقيقه الأكبر الأستاذ محمد شوقي أمين أحد أعمدة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وأبرز خبرائه، وكان شاعرا كما كان الأستاذ العالم شاعرا، صدر له ديوانان هما " قراءة لجدران زنزانة" و" أغنية الإنسان" على ما أذكر، وعلى أحد دواوينه أو قصائده مع نموذج آخر قامت رسالة رائد النقد النفسي للأدب الدكتور مصطفى سويف تطبيقا عليها.

وقد عرفه شقيقه الأكبر محمد شوقي أمين بالأستاذ كامل الكيلاني الذي ارتبط العالم بكريمته الأستاذة سميرة الكيلاني فيما بعد! وقد كان الأستاذ شوقي أمين شاعرا وكاتبا أصوليا ومحققا لغويا كبيرا يعرف قدره الكثيرون!

الرسالة للشافعي:

كان الأستاذ العالم- كما أخبرني يوما- يدرس الثقافة والفكر الإسلامي في فرنسا، في جامعة باريس٨ وكان يدرس تحديدا الرسالة للشافعي، كان فقيها إذا تكلم في الفقه، ومتكلما إذا تكلم في علم الكلام، أذكر إعجابه بالقاضي عبد الجبار المعتزلي وتفسيره لارتفاع الأسعار من منظور واقعي دون جبرية ترى أن ذلك فقط من الذنوب أو الأشياء التي لا دخل للناس فيها!

كان العالم صادقا مع قناعاته بشكل كبير، ومن هنا كان تنازله مثلا عن منصب كبير كرئيس لمجلس إدارة أخبار اليوم، حين كتب مقالا أغضب عبد الناصر، ونشره، فاستقال بسببه، ورغم إبلاغ عبد الناصر لسامي شرف بإبلاغه استعداده لعودته وإقناعه به، فأبي الرجل فكيف وقد رأى من يتهافتون ويتطايرون لنيل مثل تلك المناصب الآن وقد لا يستحقونها!

وأشهد حسبما أعرف أنه حتى أعوام قليلة- وربما حتى وفاته- لم يكن يتقاضى الأستاذ العالم معاشا من نقابة الصحافيين المصرية شأن غيره من رؤساء تحرير الصحف القومية، وقد تقدم بطلب أكثر من مرة لنقيب الصحافيين قبل السابق إبراهيم نافع، الذي لم يستجب أو لم يهتم فقد كانت له دائما اهتمامات أخرى أكرمه الله .

كان العالم حاضرا في الندوات والمؤتمرات وبخاصة الفكرية والفلسفية منها، كان نشاطا دؤوبا لا يشكو ولم يشك، فقد كان يعلم كم يقدره الجميع، من أحبوه ومن اختلفوا معه!

الرائد.. محمود العالم:

كان محمود العالم مفكرا رائدا وناقدا متميزا، كان رائد النقد الواقعي للأدب بكتابه المشترك مع صديقه عبد العظيم أنيس" في الثقافة المصرية" وهو الرائد الأول للنقد التطبيقي في الأدب العربي المعاصر، الذي قضى في محرابه نيفا وأربعين عاما، كما أصدر كتابه" أربعون عاما من النقد التطبيقي" وهو رائد في الدراسات الفكرية سواء بكتبه في نقد الوضعية المنطقية التي أوردها في كتابه" معارك فكرية" الذي احتوى معركته مع زكي نجيب محمود، أو في تبشيره الأول بالنبيوية التي سماها الشكلانية في النقد الأدبي، أو في تعريفه بجرامشي في الفضاء العربي، أو اهتماماته الفلسفية الأخرى.

جرامشي والاخوان:

ذكر الأستاذ العالم في ندوة عقدها المركز الفرنسي السيداج أواخر التسعينيات أنه أثناء رئاسته لدار الثقافة الجديدة اتصل به بعض أعضاء الإخوان، من رفقائه بالسجون العديدة أثناء الحكم الناصري، وطلبوا منه كتابات جرامشي وتعريفهم بمفهومه التغييري" الكتلة التاريخية" وهو ما كان يوحي بأن الإخوان التمسوا جرامشي في إعداد كتلة تاريخية للتغيير والبناء التنظيمي للمثقف العضوي- طبعا حسب منظومتهم- وكان يرى أن ما يقوم به الإخوان في الشارع المصري من تمدد فيه بعض الآثار الجرامشية!

كان رحمه الله كنزا من الأسرار والأفكار.. بدأ طريقا ممتدا في البحث عن الحقيقة ومر بالعديد من المحطات.. ترك في كل منها أثرا.. ولكن لا شك أنه لم يكن أبا للشيوعيين فقط، ولكن كان أبا لأجيال ثقافية عديدة بطول العالم العربي وعرضه.. كلمة حق كان واجبا قولها.

ذكر الأستاذ العالم في ندوة عقدها المركز الفرنسي السيداج أواخر التسعينيات أنه أثناء رئاسته لدار الثقافة الجديدة اتصل به بعض أعضاء الإخوان، من رفقائه بالسجون العديدة أثناء الحكم الناصري، وطلبوا منه كتابات جرامشي وتعريفهم بمفهومه التغييري" الكتلة التاريخية" وهو ما كان يوحي بأن الإخوان التمسوا جرامشي في إعداد كتلة تاريخية للتغيير والبناء التنظيمي للمثقف العضوي- طبعا حسب منظومتهم- وكان يرى أن ما يقوم به الإخوان في الشارع المصري من تمدد فيه بعض الآثار الجرامشية!

قالوا في محمود العالم

يعد محمود امين العالم احد رواد النقد الطليعي ، النقد المبني على تأسيس العقل التاريخي الجدلي ، وهو ما فعله العالم الذي أراد أن يقول لنا أن الأدب تعبير على نحو ما لبنية تحتية قائمة . " من هنا لايمكن تحديد أي نوع من الأدب دون تحديد خصائص المجتمع . كل شكل هو ناتج عن وظيفة . والشكل والوظيفة يحددان الماهية . كيف لنا إذا أن نقارب النص الأدبي دون الوقوع في فخ العلامات والدوال ، ودون أن يصطادنا شرك الشكلية . إن اجتهاد العالم النقدي جعله يبدأ بالانسان . الإنسان باعتباره كينونة عظمى يؤطرها موقفه . فإذا بالانسان موقف لذا حين يتحدث عن نجيب محفوظ دون كبير احتفاء فهذا يرجع لتقييم معين ارتآه لكنه يأتي سنة ١٩٧٠ لكي يؤلف كتابا كاملا بعنوان (تأملات عن نجيب محفوظ) ليعيد للرجل اعتباره دون أن يسقط التحفظات التي سجلها قبلا . وهو نفس ما فعله مع توفيق الحكيم فقد رأى أن الزمن الذي يطرحه هو زمن إرتجاعي ، زمن متكلس ، زمن ارتدادي

فاضل ثامر

هو واحد منا ، واحد من مرتادي الأفاق وقد حرص محمود امين العالم على إرساء نوع من الثقافة الرفيعة وعمل على إدامتها وتثبيتها وهي إطروحة الثقافة المناضلة . العالم لم يفصل بين النظرية والممارسة ، وفي تجربته الإبداعية حاول ابتداع شكل بالكتابة شعري خاص به.

مالك المطلبي

دور كبيرأداه محمود امين العالم وعبدالعظيم أنيس حين أصدرا كتابهما الشهير " في الثقافة المصرية " سنة ١٩٥٥ ، حين حاولا ان يجذرا مفهوم أن النقد الأدبي ملازم للنقد الإجتماعي .: فثمة فرق كبير بين النقد الأدبي كفن وبين الدراسة العلمية للأدب فيما كان يسمى " سيسيولوجيا الأدب " . هذه الرهانات قدمها الكتاب حيث أفلت من إسار الشكل والمضمون إلى ما يسمى الدرس الأدبي " .
التحية واجبة إلى المفكر الراحل الذي صاغ للمصادفة قانونها ، وللفلسفة شغفها ، وللنقد الأدبي أسئلته .

ياسين طه حافظ

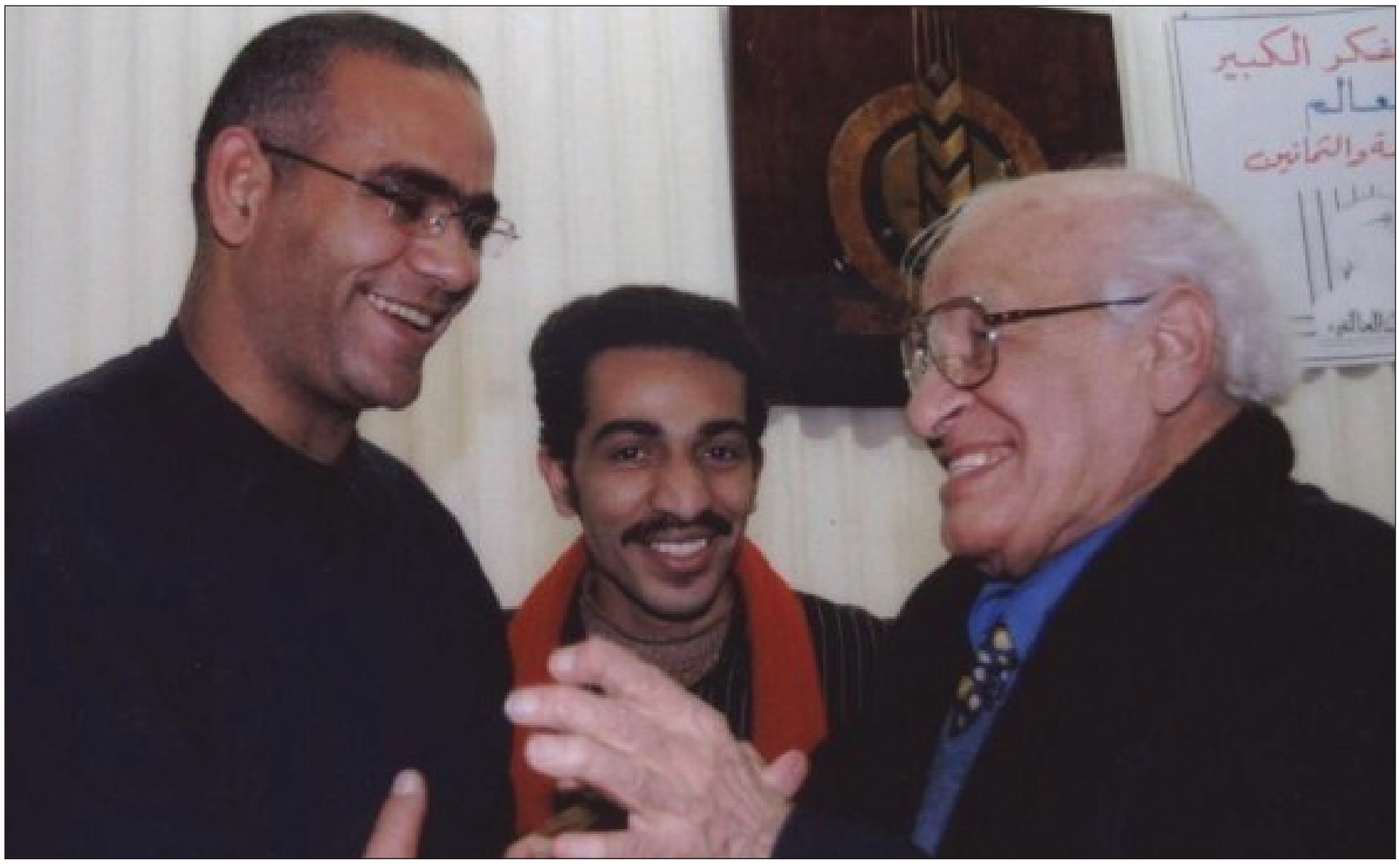

محمود امين العالم ناقدا

د صلاح السعيدي

لقد مرت الرؤية النقدية عند محمود أمين العالم بعدة مراحل، عكست بوضوح كدحه الفكرى باتجاه الوصول الى أكثر الصيغ المفهومية – الأدبية اتساقا مع قناعاته النظرية – السياسية والفلسفية. فمشروع (العالم) النقدى لم يكن له أن ينفصل بأي حال عن مشروعه السياسى – الفلسفي النضالي، وهو المشروع الذى ينطلق من نظرة جدلية كلية للعالم، تنفى الانفصال وتنكر التجزؤ. ومن هنا كان النضال على الجبهة الثقافية مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنضال على كافة الجبهات، ان لم يكن مؤسسا لاتجاهاتها ومرسخا لقناعاتها وموجها لخطوانها. وعلى الرغم من كون الثقافة تمثل (البناء الفوقي)، أي أنها مجرد ناتج عن الوضع الاجتماعي الاقتصادي الممثل (للبناء التحتي)، الا أن أهميتها لا تقل في التأثير على مجريات الصراع الطبقي والاجتماعي والوطني عن أية أدوات أخرى، بل ربما سبقت هذه الأدوات، فهي الوعي الذى ستنطلق بمقتضاه كل أشكال الفعل التغييري المتصور. فاذا كان النضال السياسى يستهدف القضاء على الاستغلال والقمع والقهر والانتصار للكادحين من العمال والفلاحين، باعتبارهما الطبقتين الأكثر فاعلية فى عملية التغيير التاريخى، والممثلتين للقوى التاريخية الاستراتيجية الدافعة نحو مجتمع أكثر حرية وعدلا، فان ذلك يستوجب بالضرورة محاربة الأفكار والمفاهيم والقيم التى ترسخ مصالح القوى المعوقة لحركتهما فى اتجاه صنع هذا التاريخ، مثل التقليد والاتباع وتقديس الماضى وشرعنة العبودية والاستغلال..الخ، لصالح الانتصارللأفكار والمفاهيم والقيم الممثلة لثقافة التقدم والعقلانية والعلم والحرية والعدل.

انها،اذن المعركة الكبرى الدائمة – فيما يرى حسين مروة –.. (بين كل جديد وكل قديم، بين ثقافة تنعكس فيها آراء ومفاهيم وأفكار وقيم تسند مصالح فئة من المجتمع يكاد يتلاشى دورها التاريخي وينقضي، وبين ثقافة تنعكس فيها آراء وأفكار ومفاهيم وقيم تريد أن تدل على مكان فئة تلد في المجتمع جديدا، لكى تنقل هذا المجتمع الى دور تاريخي جديد، ثم لكى ترفع هذا المجتمع الى منزلة أرحب وفضاء أوسع وانسانية أسمى وحياة أجمل وأفضل). (١)هذا الفهم للعمل الثقافي العضوي، غير المنفصل عن العمل السياسي المباشر، بل والمؤسس لمفاهيمه والقائد لوعيه، هو نفسه ما يؤكده العالم وأنيس فى مقدمة الطبعة الأحدث من كتابهما "في الثقافة المصرية " قائلين: (في الأربعينيات وبداية الخمسينيات، ومع مخاض النضال الوطني والاجتماعي للشعب في مرحلة تاريخية جديدة، أخذت تتجلى فى بنية الأدب وأساليبه مظاهر أخرى تتجاوز مدرسة المهجر ومدرسة أبوللو، متواكبة ومتفاعلة مع نهوض حركة وطنية ديمقراطية ذات آفاق اجتماعية جديدة، طبعت هذا الابداع الجديد بطابع واقعى) (٢). فالكشف عن طبيعة الأدب الجديد، أو (الظواهر الجديدة) فى الأدب لم يكن منفصلا عن الكشف عن طبيعة الواقع السياسي الجديد، والمؤلفان لم يكونا ليعكسا..(هذا المسعى النظرى النقدى فى الأدب فحسب، وانما كان يتضمن (أى مقال الأدب بين الصياغة والمضمون الذى ورد فى الكتاب المذكور) مسعى نقديا اجتماعيا وسياسيا كذلك. فلقد كانت معركة الديمقراطية محتدمة فى مصر آنذاك، وكان مقالنا ذو الطابع الأدبى الخالص سلاحا من أسلحتها) (٣) وهو مايعنى أن الحركة الأدبية النقدية الجديدة انما جاءت لتترجم وضعية مثلتها مرحلة تاريخية جديدة، كانت ذاخرة بالوعود والآمال الكبار فى التحرروالانعتاق واحتدام الصراع بين قوى آفلة، تحارب معركتها الأخيرة وأخرى بازغة تكاد تقبض على الحلم بيديها ليستحيل واقعا متجسدا تكاد تراه العين وتلمسه اليد. ومن هنا كانت ضرورة استخدام كافة الأدوات والأسلحة، ومن بينها سلاح الوعي – الفكر والفن والأدب، سلاح الثقافة.

هذا الارتباط الوثيق بين الأدب والواقع، يمكن ترجمته فلسفيا وسياسيا بالارتباط بين البناء الفوقى والتحتى، ويمكن ترجمته كذلك جماليا ونقديا بالارتباط بين الشكل والمضمون. فالوعى لايمكن الا أن يكون مرتبطا بالوجود، واذا كان الأدب شكلا من أشكال الوعى، فان الواقع يمثل الوجود، ومن ثم يصبح التغيير الذى يمكن أن يلم بطبيعة الوجود متطلبا لتغيير مماثل فى أشكال الوعى، فالوعى هو (شكل) الوجود، والوجود هو (مضمون) الوعى. والعلاقة بينهما حتمية وان كانت ذا طابع جدلى متغير، يحكمه قانون (الوحدة والصراع). والسؤال الآن هو كيف تجلت هذه الرؤية فى نطاق الممارسة النقدية عند العالم؟ وهل أتخذت شكلا واحدا أو طابعا ثابتا لم يتغير أم تطورت وتحولت، وما ملامح هذا التغير ومراحله؟

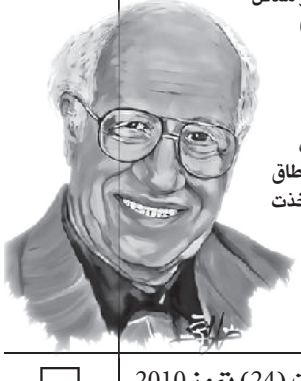

محمود أمين العالم:

تأثرت بالحلّاج المناضل

قد تختلف مع توجهات وآراء محمود أمين العالم ولكن لا تملك إلا أن تحترمه وتقدره، فهو مفكر وكاتب متعدد ومتنوع الروافد الثقافية، ورحلته الانسانية غنية بتجاربها المؤثرة، محمود أمين العالم كتلة من المشاعر والاحاسيس، يأسرك بتواضعه الشديد، ملئ بالحيوية والنشاط، الابتسامة الدافئة لا تفارق وجهه على الرغم من مسيرته النضالية الشاقة فرحلته مع السجون طويلة من سجن الواحات الخارجية الى سجن قراميدان، سجن القلعة، سجن الحضرة بالاسكندرية، وسجن أبو زعبل، وتخللت هذه المسيرة أحداث كثيرة أثرت في تاريخ مصر وتاريخه الشخصي فمن مشاركته في المظاهرات الوطنية الى مساعدة ثورة ٥٢ من خلال الحزب الشيوعي المصري على صد العدوان الثلاثي على مصر عام ٥٦، ثم فصله من الجامعة ومن عمله، والحكم عليه بقانون العيب، والمنفى الاختياري، ورحيل الاصدقاء والعائلة ورحيل زوجته مؤخرا،

رحلة عمره الانسانية بدأت من كُتاب الشيخ السعدني الى التصوف ومن النتشاوية الى الماركسية، ومن مخزنجي الى استاذ في جامعة القاهرة ثم جامعة باريس، يسرد تاريخه وتاريخ مصر ككتاب مفتوح فتاريخ مصر بداخله، عناوين مؤلفاته فيها الكثير من شخصيته وفكره مثل "الرحلة الى الاخرين"، "الانسان موقف"، "أغنية انسان"، أصدر أكثر من ٢٠ مؤلفاً في مجالات النقد الادبي والفلسفة والفكر والشعر، وعشرات الدراسات والمقالات والمحاضرات في مجلات مصرية وعربية وأجنبية، ويُشرف حاليا على إصدار كتاب ثقافي غير دوري "قضايا فكرية"، والذي بدأ باصداره منذ عودته الى مصر عام ٨٤، أصدر منه حتى الان ٢٠ كتاباً، إضافة الى كونه مقرر لجنة الفلسفة في المجلس الاعلى للثقافة، وعضو في نقابات واتحادات مختلفة. باختصار شديد تحدث عن السير فوق الهاوية وعملية اصطياد الانسان في الحياة.

× بالرغم من نشأتك الازهرية الا أنك تحولت الى الماركسية، كيف تم ذلك؟

– أنا بالفعل من أسرة دينية أبي الشيخ "أمين كامل" وكيل الجمعية الشرعية، وأخي الاكبر اسمه محمد كان شيخاً أزهرياً، ومن أوائل الداعين لانشاء مجمع لغة عربية وأصبح أحد الاعضاء الخالدين فيه، ومن خلال مكتبته الضخمة استطعت الاطلاع على أهم الكتب لكبار الكتاب، إضافة الى ذلك تعرفت من خلاله على العديد من الشعراء والكتاب مثل كامل الكيلاني والشيخ الغاياتي، وأخي الثاني الشيخ أحمد (كفيف) كان طالبا في كلية الشريعة بالازهر الشريف، وقيمته الكبيرة في حياتي أنه بدأ يكتب بطريقة "بريل" التي تناسب المكفوفين، فكنت اقرأ له النصوص منذ أن كنت في الثامنة من عمري الى أن بلغت ١٦ عاماً، قرأت له الادب، الفقه، التفسير، الفلسفة، الحقيقة لهما قيمة كبيرة في حياتي، فأحمد قدم لي كتب التراث العربي الاسلامي، ومحمد قدم لي اللغة العربية، وأنا في هذا الجو الشديد الإسلامية اكتشفت الحلاج، وجدت كتاباً مترجماً لأشعاره في مكتبة أخي محمد،.."أيها السائل عن قصتنا...لو ترانا لم تفرق بيننا..أنا من أهوى أنا... نحن روحان حللنا بدنا..فاذا أبصرته أبصرتنا..واذا أبصرتنا أبصرته...أيها السائل عن قصتنا لم تفرق بيننا"، قرأت الحلاج وتأثرت به جداً وخاصة "مافي الجبة الا الله"، الحلاج لم يكن متصوفاً فقط بل كان مناضلاً أيضاً، ومن خلال استاذي بالمدرسة وحديثه عن الفيلسوف والشاعر الالماني نيتشه، قرأت "هكذا تكلم زرادشت"، فاذا بي لا أجد فرقاً بين الحلاج ونيتشه، كنت أتمثل نيتشه في تصرفاتي "الانسان حبل يسير فوق الهاوية"، وأنا أسير فوق الهاوية منذ زمن (ضاحكا).

× كل هذا ولم تكن قد أصبحت ماركسياً بعد؟

– لا كنت متأثراً بافكار نيتشه جداً، حتى أن الحلاج اختفى قليلاً، كنت مثالياً ومتصوفاً، تصوفاً روحانياً، نيتشه أصبح بالنسبة لي مغامرة فقررت الالتحاق بقسم الفلسفة، ولانني من أسرة فقيرة لم استطع التفرغ للدراسة

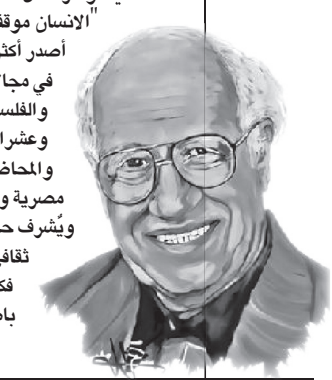

أنا بالفعل من أسرة دينية أبي الشيخ "أمين كامل" وكيل الجمعية الشرعية، وأخي الاكبر اسمه محمد كان شيخا أزهريا، ومن أوائل الداعين لانشاء مجمع لغة عربية وأصبح أحد الاعضاء الخالدين فيه، ومن خلال مكتبته الضخمة استطعت الاطلاع على أهم الكتب لكبار الكتاب، إضافة الى ذلك تعرفت من خلاله على العديد من الشعراء والكتاب مثل كامل الكيلاني والشيخ الغاياتي، وأخي الثاني الشيخ أحمد (كفيف) كان طالباً في كلية الشريعة بالازهر الشريف

بالجامعة، فوظفت كأمين مخازن في وزارة التربية والتعليم، ومن ثم أمين مخازن كلية الاداب ومن ثم انتقلت الى أمين مخازن قسم الجغرافيا، أحضر بعض المحاضرات ومن ثم أعود الى عملي، وفي هذه الفترة تعرفت بالدكتور زكي نجيب محمود ولويس عوض ويوسف مراد، وكنت انهي عملي وأذهب الى مكتبة الجامعة، وهذه كانت نعمة كبيرة لي، كانت تجربتي في المكتبة غنية، إذ كنا نشارك كطلبة في إثراء المكتبة عن طريق إعلام مسؤول المكتبة بالكتب غير المتوفرة، هذه الميزة قتلت الان، ورغم طبعيتي النيتشاوية المثالية كنت مشتركا بالحركة الوطنية واشارك بالمظاهرات ضد الحكومة والانكليز، منذ أيام المدرسة كنا نخرج في مظاهرات ضد حكومة صدقي باشا، وخلال اعدادي لرسالة الماجستير وكان موضوعها "المصادفة في الفيزياء الحديثة"، وجدت كتابا "فلاديميرلينين" عن القوانين الطبيعية، لم يكن كتابا سياسياً بل كتابا يبحث في فكرة الموضوعية في الحياة، وبدأت تتغير أفكاري، فغيرت رسالة الماجستير التي كنت اعدها على أساس مثالي عن نظرية المصادفة الى نظرية المصادفة على أساس موضوعي، وقدمت رسالتي وكان مسئولاً عنها د. زكي نجيب محمود ويوسف مراد، وحصلت على درجة امتياز وتقرر اعطائي مكافأة وعُينت مدرساً مساعداً للمنطق ومناهج التعليم في قسم الفلسفة في كلية الاداب، أي يا سيدتي العزيزة من مخزنجي الى استاذ.

× أي دخلت الماركسية من باب العلم؟

– نعم، من بوابة الفلسفة، أثناء اعداد رسالة الماجستير حولت المسألة الى الموضوعية، أي أن المصادفة علاقة موضوعية نحن الذين نحدد قيمتها، الحياة كلها مصادفات ولكن لها قوانين وتتحرك بحسب هذه القوانين، الانسان لا يضع قوانينها ولكنه يستطيع أن يسيطر عليها، وبدأت اكتشف الاساس العلمي والموضوعي لكل شئ، في العلم والسياسة والادب، الماركسية أو كما أسميها المادية الجدلية عرفتني بقانون الضرورة في المجتمع، وبالتالي اكتشاف الضرورة في الابداع البشري، ومع هذه الرسالة وهذا التوجه قررت أن أبحث عن أفضل تنظيم شيوعي في مصر، فوجدت تنظيم صغير اسمه "نواة الحزب الشيوعي المصري" وعلى رأسه عامل مصري اسمه "فوزي جرجس"، وعلى فكرة له كتاب مهم جدا اسمه "تاريخ مصر القومي"، فانضممت للتنظيم وأنا مدرس في الجامعة، ثم أتى قرار فصلي سنة ١٩٥٤ أنا وعبد العظيم أنيس من كلية العلوم، وأكثر من ٣٠ شخصا باعتبار أن الشيوعية ضد الدولة ضد عبد الناصر.

× كانت لديك معركة نظرية في مجال الادب وكان لها تأثير على المستوى العربي عامة من خلال كتاب "في الثقافة المصرية"، كيف نشأت فكرته؟

–رؤيتي الادبية بدأت تتشكل من الناحية الفلسفية، وكان لي كتابات سابقة في روز اليوسف، الا أن رؤيتي المرتبطة بعلاج الواقع بالمنطق العلمي المادي الجدلي تجسدت فعلاً في سلسلة من المقالات "جريدة المصري الوفدية" ناقشت فيها أنا وعبد العظيم أنيس كتابات طه حسين ونجيب محفوظ والعقاد وغيرهم، وأثارت ردود فعل كثيرة، قال طه حسين عنها "هذا أدب يوناني لا يُقرأ"، والعقاد قال "أنا لا أناقشهما وإنما أضبطهما فانهما شيوعيان"، ومن ثم طرح علي د. عبد العظيم أنيس نشر المقالات في كتاب أثناء عمله في مدرسة احصائية ادارية في لبنان بعد فصله من جامعة القاهرة، وبالفعل قدمناه لحسين مروة وظهر الكتاب.

× هل الافكار اليسارية لا تزال قابلة للتطبيق؟

– أولا اليسارية ليست أفكارا، بل علم، بصرف النظر عن ارتباطها بكلمة ماركس، علم اسمه المادية الجدلية، أي رؤية الحياة على حقيقة واقعية ولكنها متفاعلة، فكل شيء متحقق تحققاً متفاعلاً، والمنهج الماركسي ليس منهجاً احادي الرؤية للاشياء ولكن برؤية الاشياء بتفاعلها وحركتها في تاريخها، حيث لا يوجد لدينا زمن، الزمن قياس لحالة، نقول كل شئ له مدة أي تاريخية الاشياء، ماركس هو الذي صاغها ولكن ليس هناك ثبات بل هناك تفاعل، ولهذا مع كل انتصار جديد في الفيزياء تتغير المبادئ أي الماركسية أي المادية الجدلية، لذلك هي تصلح للتطبيق في أي زمان ولكن تختلف باختلاف الظروف ولذلك هي قانون عام .

× وحتى مع انهيار الاتحاد السوفيتي ما زلت مؤمناً بها؟

– مؤمن بالمنهج، حتى لو انهار الاتحاد السوفيتي لم تنهر الماركسية لانه قانون علمي، عندما اقول لك كل بنية مرتبطة ببنية اخرى في ارتباط تفاعلي بعمق تاريخي، لذلك لا ينهار ولكنه يتغير في تطبيقاته، أي تطبيق المادية الجدلية، فتطبيقها في بلد إسلامي سيختلف عن تطبيقها في بلد متطور جداً عن بلد فقير وهكذا، ولكن القضية هي كيف نسيطر على أبنية الاشياء في تفاعلها وفي حركتها؟ وهنا يتدخل الوعي، أي كيف نوجه هذا الوعي لمصلحة الانسان، لمصلحة المجتمع ككل، كيف نتخطى الواقع القائم؟ بمعرفتنا به وسيطرتنا عليه، أي نسيطر على قانون الضرورة، اذا سيطرت عليه ساوجهه بالطرق التي اريدها ولكن اوجهه لمصلحة من؟ للمصلحة الفردية؟ لمصلحة المجتمع؟ أو لمصلحة التطور بشكل عام؟ هذه هي القضية هو قانون موضوعي مادي، ولكن مادي ليس بخط واحد بل بتفاعلات عناصر اخرى.

× دعنا نترك الماركسية لاسألك... بعد مشوارك النضالي الطويل والثري وتجاربك القاسية ألم تشعر بالندم؟

– طبعا لا، بالعكس أندم بأن هناك أموراً كان يجب أن اقوم بها بطريقة أفضل، وبأن هناك أموراً كان يجب أن اكون بها أكثر حسماً، ولم أكن وحدي بهذا المشوار النضالي.

× حسما بمعنى

– أي أكثر دقة في تحقيقها، أكثر مواصلة في استكمالها، لان تاريخ مصر تاريخ مجيد وبالرغم من ذلك انظري الى أين وصلنا؟!

× وهذا ما يدفعني للسؤال مرة أخرى ألم تشعر بالندم؟ ليس هناك نهاية ايجابية لهذا النضال وغيره؟

– أكثر ما احترمه واحبه هو تاريخية التاريخ، التاريخ متحرك وليس خطا واحدا، لا له بداية ولا له نهاية، ولكن في داخله صراعات وتفاعلات، وداخله القوانين الموضوعية، أي داخله الوعي وهو الاخطر، ولكن أي وعي؟ وعي الافراد أم وعي المجتمع؟

× تجربة المعتقل تجربة قاسية جداً، كيف تخطيتها واستمريت بالعطاء؟

– هذه كرامتي الشخصية والوطنية، أنا ابن الدرب الاحمر (ضاحكاً) ولكنني لست أنا الذي اسميته الدرب الاحمر، كرامة الانسان هذه. عرض علي انور السادات عام ٥٨ أن أتخلى عن انتمائي للحزب الشيوعي وانضم للاتحاد القومي آنذاك، وكنت ساحصل على مكاسب كثيرة، ولكنني رفضت بالرغم من تلميحاته التي تحمل التهديد والوعيد لي ولبقية الزملاء في الحزب، وبعدها بفترة تمت حملة اعتقالات واسعة كنت من ضمنها بتهمة التآمر ضد دولة الوحدة ومناهضة النظام، وخرجت عام ١٩٦٤.

× ألم تشعر بالخوف بعد خروجك من المعتقل؟ بمعنى عندما كنت تنوي القيام بامر ما، الم تشعر بالخوف من اعادة تجربة المعتقل والتعذيب؟

– طبعا كل انسان يشعر بالخوف، ولكنني جريءٌ ومقاوم، وأحياناً أتناول الامور بمرح، مثلاً عندما كنا في سجن أبو زعبل كنا نتعرض للضرب بشدة، ودائما قبل النوم لا بد من "علقة ساخنة"، وفي يوم دخل علينا أكثر من ١٠ عساكر، وضربونا ضرباً مؤلماً، وعندما انتهوا من الضرب خرجوا يلهثون من التعب، فقلت "موتناهم من ضربنا" فانفجر الجميع بالضحك وانتهت المسألة، ماذا تريدين مني أن افعل؟ هل أضع يدي على وجهي وأحزن، بالطبع البعض لم يكن يحتمل الالم، لم يستطيعوا الاستمرار وانتقلوا الى أماكن اخرى ثم غادرونا.

× ولكني أتعجب كل هذا التعذيب والقهر ولم تكره عبد الناصر فقد قلت عندما مات "مات شخصا ولكنه لم يمت فكراً، وأننا سوف نسير على طريق عبد الناصر وبفكر عبد الناصر"!!

– بالطبع لا أكرهه، قدم الكثير لمصر، وكان مخلصاً في حبه لمصر.

× البعض يقول عكس ما تقوله غير صحيح.... غير صحيح، عبد الناصر عمل بجهد ولكن كانت له اخطاؤه، المشكلة كانت في أداته العسكرية، هذه هي القضية، يجب أن تكون الاداة مجتمعية، جبهاوية، كان يجب أن يتعامل معنا، ونحن بالتالي كان لنا أخطاء كشيوعين، ولكنني من النوع الذي يُفسر الخطأ، فمجلس قيادة الثورة كان عبارة عن جبهة غير متجانسة في أفكارها، كان فيها اليمين المتشدد مثل الاخوان، وفيها الشيوعيون اليساريون، وفيها الوطنيون المستقلون، وايضا كانت هناك تصرفات غير صحيحة فكنا ضد الثورة ثم تراجعنا عن موقفنا، اكتشفنا فيما بعد أن اقتراب عبد الناصر من امريكا كان مجرد تكتيك حتى تتفرغ الثورة لمعركتها مع الانكليز، ثم عندما بدأ يتجه الى باوندونغ اكتشفنا فعلاً أن عبد الناصر لم يعد مع الامريكان، ثم التأميمات العظيمة، ما أريد أن اقوله أن كل ذلك كان يعني أن أحلامنا تتحقق، أحلامي تتحقق، ولكن كان يجب أن نقترب من بعضنا أكثر، كانت رؤيته صحيحة ولكنها عسكرية، كان يريد أن يتخذ من الوحدة المصرية السورية نموذجاً، ومن ثم ينتقل الى البلاد العربية لتصبح وحدة عربية، فكتبت مقال "ميلاد الوطن العربي" في مجلة الرسالة الجديدة اشجع فيه الوحدة المصرية السورية، ولكنني أعلنت اختلافي في منهج تحقيقها، فلكل مجتمع خصوصياته فطالبت بتحسين شروط الوحدة، لذلك تم فصلي من العمل في مؤسسة دار التحرير ومجلة الرسالة الجديدة، بالرغم من أن ما قلته كان تأييداً ولكن الاختلاف في اسلوب تحقيقها.

× هل أنت مؤمن بالوحدة العربية؟

– طبعاً، طبعاً، ستحدث في يوم من الايام، ليس بالضرورة اليوم أو غداً، ولكنها ستحدث.

× أي بعد ١٠٠ عام؟؟ إذا قرأنا الواقع جيداً نجد الامر مستحيلا!

– لا اعتبر أن هناك شيئا اسمه زمن، أعتبر أن هناك شيئا اسمه التاريخ، التاريخ هو الانسان، فاعلية الانسان.

× الانسان تفاعل ويتفاعل منذ سنوات طويلة، متى سنرى الوحدة تتحقق بعد أن يموت الملايين من الشعب العربي؟

– المسألة ليست قبل أو بعد، وإنما كيف، الخصم يسيطر على النضال مع الوقت، يسيطر على قوانين الحركة النضالية، السلطة الان تملك الجيش، ومرتبطة بأقوى قوى في العالم وهي امريكا، وهم غير قادرين على مقاومتها، عبد الناصر كان يقاوم، كان يتحدث باسم مصر.

طبعا كل انسان يشعر بالخوف، ولكنني جرئ ومقاوم، وأحياناً أتناول الامور بمرح، مثلاً عندما كنا في سجن أبو زعبل كنا نتعرض للضرب بشدة، ودائما قبل النوم لا بد من "علقة ساخنة"، وفي يوم دخل علينا أكتر من ١٠ عساكر، وضربونا ضربا مؤلما، وعندما انتهوا من الضرب خرجوا يلهثون من التعب، فقلت "موتناهم من ضربنا" فانفجر الجميع بالضحك وانتهت المسألة، ماذا تريدين مني أن افعل؟ هل أضع يدي على وجهي وأحزن، بالطبع البعض لم يكن يحتمل الالم، لم يستطيعوا الاستمرار وانتقلوا الى أماكن اخرى ثم غادرونا.

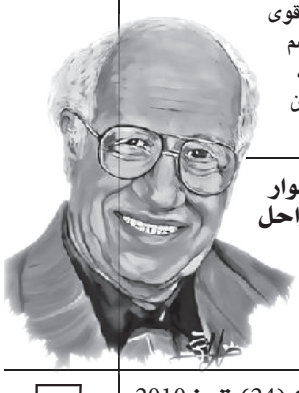

كان هذا اخر حوار اجري مع الراحل ونشر الحوار في جريدة الشرق الاوسط ٢٠٠٨

في الكتابة يكتشف الانسان وعيه
ولهذا كان للمعني أو للدلالة أو للموقف او للرسالة، قيمة مركزية في مفهومي للأدب، من دون أن تقلل أو تضعف هذه المركزية الدلالية أو الموقفية للأدب، من قيمته الابداعية، باعتبار ان الأدب عندي هو جوهر انسانية الانسان بطبيعته الابداعية النقدية التجاوزية المتصلة للواقع السائد. وأذكر أنني وقفت طويلا عند بداية قراءتي الشعرية الجادة عند شعراء أصحاب مواقف مثل الصعاليك وأبي العلاء المعري والمتنبي والبحتري والشريف الرضي وابن الرومي والحلاج باعتباره شاعرا متصوفا، متمردا على الرؤية الدينية الطقوسية المفارقة.

محمود أمين العالم

يـــروي تجـربـتـة في الـكـتـابـة

وكانت أغلب قصائدي الشعرية تتعلق بقضايا فكرية اشكالية أذكر منها قصيدة طويلة بعنوان "الرمز والمعنى" وأخرى بعنوان Neither.. Nor (لا.. ولا) معارض بها معارضة شعرية كتاب Either.. or للفيلسوف الوجودي كيركجار. وفي هذه المرحلة المبكرة من حياتي ومن توجهي الثقافي كنت متعلقا فلسفيا بالتصوف الاسلامي من ناحية، وبفلسفة نيتشة وفرويد ويرجسون والفلسفة المثالية عامة، وكان هاجس التمرد على المألوف والسائد والمعقول عامة يغلب على كتاباتي بمنحى يبلغ حد الاطلاق والعدمية. وأذكر محاضرة ألقيتها عام ١٩٤٥ في الجمعية الفلسفية بكلية الآداب – جامعة القاهرة (فؤاد الأول آنذاك) عنوانها "اللامعقول في الطبيعة والفن" دافعت فيها عن اللامعقول باعتباره ممثلا لكل من يرفض الخضوع والانصياع لقوانين العقل المنطقية. ولهذا اعتبرت اللامعقول هو حامل عبقرية الوجود والتحقق الخلاق الرافع دائما شعلة التحرر والانطلاق. ولهذا كانت رؤيتي للأدب وتذوقي له وابداعي لبعض الشعر، تعبيرا عن هذا المنطلق، ولهذا كان يغلب عليه التركيز على القيمة الجمالية الفنية الخالصة والدلالات المطلقة.

وعبرت عن هذا في أول مقال نقدي لي نشرته في المقتطف بين عامي ٤٥– ٤٨ (لا أذكر بالدقة) بعنوان مستقبل الشعر العربي أكدت فيه على أن الصياغة الفنية المتجاوزة لما هو سائد هي حقيقة الشعر والمعبرة في الوقت نفسه عن انسانيته الكلية. وكانت رؤيتي وكتاباتي في هذه المرحلة أقرب الى كتابات بدر الديب ويوسف الشاروني، بمستوى أو بآخر. وكان بدر الديب رائدنا الابداعي والنقدي، وكنا نكون مع زملاء آخرين ما يشبه مدرسة أدبية.

ثم اكتشفت بعد ذلك أن ادوار الخراط كان يتبنى نفس الرؤية ويكتب بذات التوجه.

ومازلت أذكر حوارا حول الشعر بين الشاعر كمال عبدالحليم وبيني في مرحلة الاربعينيات التي كانت زاخرة محتدمة بالأنشطة الأدبية والفكرية والسياسية، التي كنت أشارك فيها من منطلق وطني ديمقراطي عام في هذا الحوار رحت اعارض دفاع كمال عبدالحليم عن الطابع الدعائي التحريضي للشعر الذي تغلب عليه المضامين الوطنية والاجتماعية التقدمية، فقد كنت متمسكا بالقيمة الفنية الخالصة للشعر. وكنت في هذه المرحلة من الاربعينات منشغلا في الجانب الفكري الخالص بدحض الأساس الموضوعي للطم، متبنيا رؤية مثالية ذاتية. وتمثل هذا في رسالة كنت أعدها آنذاك لنيل درجة الماجستير في الفلسفة حول مفهوم المصادفة في الفيزياء الحديثة، تأسيسا على قانون "عدم التحديد" في "نظرية الكم" عند هايزنبرج. على أي ما كدت انتهي من كتابة الفصول الأخيرة من الرسالة، حتى وقع في يدي كتاب "المادية والنقد التجريبي" لفلاديمير ايلتش لينين، الذي كان يعالج في فصل من فصول كتابه هذا بعض نظريات الفيزياء الحديثة مستندا الى المادية الجدلية.

أفضت قراءتي لهذا الكتاب الى قلقلة رؤيتي الفلسفية المثالية، ووجدت نفسي اراجع أطروحتي المثالية حول المصادفة، وأخذت أتبنى رؤية موضوعية علمية لها، وأعيد بناء رسالتي الجامعية على أساس منهجي علمي مختلف، بل انتقلت فكريا وسياسيا من الرؤية الوطنية الليبرالية العامة الى الرؤية الاشتراكية العلمية أو الماركسية تحديدا، وانخرط في فصيل من فصائلها السياسية. وكان من الطبيعي ان تنعكس هذه النقلة الفكرية على مفهومي للأدب تذوقا وابداعا وفكريا نظريا ونقديا. ولعل كتاب "في الثقافة المصرية" الذي صدر عام ١٩٥٥ في بيروت باسم عبدالعظيم أنيس واسمي مع مقدمة للشهيد حسين مروة، ان يكون ثمرة هذه النقلة الفكرية في مجال النقد الأدبي، ونتيجة حوارات نظرية بيننا وبين طه حسين والعقاد بوجه خاص وبعض تطبيقات نقدية في مجال الشعر والرواية.

وخلاصة مفهوم الأدب في هذا الكتاب – على تنوع حواراته ومقالاته – كما جاء في مقدمة الطبعة الثالثة في القاهرة عام ١٩٨٨– هي "أن الأدب تعبير ابداعي ذاتي عن وقائع ومواقف اجتماعية موضوعية، ولكن أدبيته وابداعيته لا تصدر عن مجرد هذا التعبير الاجتماعي، وانما عن نوعية هذا التعبير، أي عن كونه تعبيرا مشكلا مصاغا، تشكيلا وصياغة جمالية خالصة هي التي تجعل منه أدبا". وبرغم حرصنا في هذا الكتاب على تأكيد العلاقة الجدلية الحميمة العضوية بين ما كنا نسميه بالصياغة والمضمون، ودفاعنا عن حركة الشعر الجديد الذي تمثل في شعر التفعيلة، وعن أن جث ته لا تتمثل أساسا في هذه الصفة التفعيلية، وانما في كونه يتسم بوحدته العضوية من ناحية، وببناء هذه الوحدة على التعبير بالصور من ناحية أخرى، أي حرصنا على تأكيد وابراز الجانب التشكيلي الفني لهذا الشعر الجديد، فان الممارسة النقدية نفسها في هذا الكتاب غلب عليها التركيز على المضمون الوطني الاجتماعي والموقف الايديولوجي.

وكان ذلك صدى لما كان يحتدم آنذاك – في عامي ٥٤– ١٩٥٥– من معارك وطنية وديمقراطية وايديولوجية، وعدم امتلاكنا لأدوات التحليل الداخلي.

وفي عام ١٩٥٧، نشرت في مجلة الرسالة الجديدة مقالا بعنوان: "الخلق في الفن لا ينفي دلالته الاجتماعية"، ردا على مقال لزكي نجيب محمود بعنوان "الشعر لا ينبئ" يقول فيه "ان الفن لا معنى له ولا ينبغي له ان يكون" واختلفت مع اطروحة زكي نجيب محمود مؤكدا ان الأدب بما يتضمنه من أحداث وتراكيب لونية وصوتية الى غير ذلك انما يحمل رأيا في الحياة وحكما على الواقع وموقفا من حركة المجتمع، كما أكدت انه لا معنى للقول بالالتزام في الأدب. اذ ليس هناك أدب ملتزم وأدب غير ملتزم. فكل أدب وكل فن يتضمن رأيا وحكما وموقفا سواء كان رمزيا أم رومانطيقيا أم انطباعيا أم وحشيا ام مستقبليا ام سيرياليا ام واقعيا ام غير ذلك من مذاهب الأدب والفن ومدارسهما، وسواء أراد الفنان أم الأديب ذلك أم لم يرد. سواء كان واعيا ام غير واع. ولهذا يقوم الاختلاف بين هذه المدارس والمذاهب على الاختلاف في النظرة الى الواقع والحكم عليه والموقف منه، وليس معنى هذا بالطبع أن يكون الأدب والفن واقعيا لمجرد ان يجهر بالشقاء والحزن. وانما المهم أولا أن يكون فنانا أو اديبا خلاقا، وان تنبع افكاره وأحكامه ومواقفه من صميم بنائه الفني والأدبي" (الثقافة والثورة: عام ١٩٧٠) ولهذا كان التجديد في بنية التعبير الأدبي آنذاك سواء في مجال الرواية ام القصة ام الشعر موضع تذوق وترحيب واحتفاء ودفاع ومحاولة لكشف آلياته. الا أن التركيز كان ما يزال – مع ذلك – على الدلالة أو المضمون العام للعمل الأدبي وعلاقته بالواقع الحي وموقفه منه بمستوى أو بآخر.

وفي أواخر عام ١٩٥٨ ذهبت الى نادي المعلمين لألقي محاضرة عن "الحرية والالتزام عند سارتر" فاذا بي أفاجأ بمحاصرة البوليس للمكان والغاء المحاضرة. وكان ذلك تمهيدا لاجراءات القبض على أغلبية الشيوعيين المصريين في أول يناير كانون الثاني عام ١٩٥٩على أني في هذه المحاضرة التي نشرت بعد ذلك في كتاب "معارك فكرية" عام ١٩٧٠، نقدت مفهوم سارتر للحرية والالتزام خاصة وللفلسفة الوجودية عامة – فالحرية عنده – كما عرضتها في هذه المحاضرة – تعني أنها عين الوجود، أنت حر لانك موجود. وأن وجودك هو عين حويتك، انها فعلك التلقائي المطلق بلا تعيين. انها ان تختار وان تختار يعني ان تعيش وأن توجد وان تتخذ لنفسك هذا الموقف أو ذاك. وفي فعلك هذا وفي اختيارك يتحدد وجودك وتتعين ذاتك وتحيل الامكان الى واقع. وعندما انتقلت الى مفهومه للالتزام تبينت ان هناك تناقضا بين قول سارتر بالحرية التلقائية المطلقة وقوله بالالتزام. ولهذا تساءلت: كيف يكون الأديب الوجودي ملتزما؟! الا يكون هذا الالتزام عند سارتر مجرد التزام بالدفاع عن الحرية؟! ولماذا كانت الحرية هي عين الوجود أي الفعل التلقائي المطلق، لم يكن للالتزام عند سارتر مضمون محدد. انه ليس التزاما بشيء، انه التزام بأي شيء، انه التزام بقضية اجتماعية ما، لتكن الوطنية، او الخيانة، او قضية الزنوج او القلق او الضياع أو الحزبية. انه

أن الصياغة الفنية المتجاوزة لما هو سائد هي حقيقة الشعر والمعبرة في الوقت نفسه عن انسانيته الكلية. وكانت رؤيتي وكتاباتي في هذه المرحلة أقرب الى كتابات بدر الديب ويوسف الشاروني، بمستوى أو بآخر. وكان بدر الديب رائدنا الابداعي والنقدي، وكنا نكون مع زملاء آخرين ما يشبه مدرسة أدبية. ثم اكتشفت بعد ذلك أن ادوار الخراط كان يتبنى نفس الرؤية ويكتب بذات التوجه.

اذن التزام بغير مضمون اجتماعي، التزام بغير دلالة محددة. ولهذا انتهى سارتر الى انه لا التزام في الشعر ولا التزام في الفنون الجميلة او الموسيقى أو الرسم والنحت الى غير ذلك. وتأسيسا على ذلك راح بعض أد بائنا يفرقون بين أدب ملتزم وأدب غير ملتزم. بل يطلقون على الأدب الملتزم بانه أدب الزام وليس أدب التزام، والحقيقة كما قلت آنذاك، انه لا يوجد أدب ملتزم وأدب غير ملتزم. فكل أدب وكل فن حتى الموسيقى والرسم والنحت، يحتوي على مضمون محدد له دلالة اجتماعية، حتى التعابير الأدبية والفنية المفرقة في أد بيتها الخالصة، والاختلاف في الأدب ليسر بين التزام وعدم التزام وانما هو اختلاف في المضمون الاجتماعي والدلالة الطبقية لكل أدب وفن. وهو الاختلاف الذي يميز ويفرق بين التيارات والمدارس الأدبية والفنية المختلفة. وكان هذا هو المفهوم السائد آنذاك عند نقاد اليسار عامة بدرجات متفاوتة.

على أن التركيز على المضمون الاجتماعي لم يكن يعني الغاء أو تجاهل البنية الفنية. وكانت الرؤية للعلاقة بين الشكل الفني والمضمون أقرب الى التجاور او التوازي منها الى التفاعل اللهم الا في المفاهيم وليس في التطبيق النقدي.

على انه بين أول يناير كانون الثاني ١٩٥٩ الى منتصف ١٩٦٤ كانت الغيبة الطويلة الشاقة وراء الأسرار وتحت آليات التعذيب. ولكنها رغم قسوتها كانت مساحة للا بداع الأدبي والفني والتأمل الفكري والنقدي. ولقد أتيح لنا- أثناء وجودنا في سجن بعيد عن السلطة، هوسجن الواحات الخارجة - أن نحصل على بعض الكتب سرا ومن بينها كتب أدبية. وأذكر اي تفرغت لقراءة واعادة قراءة بعض أعمال نجيب محفوظ، بين قراءات أخرى. وكانت ثمرة هذه القراءة كتاب "تأملات في عالم نجيب محفوظ" الذي أكملت صياغته بعد اطلاق سراح الشيوعيين جميعا في منتصف عام ١٩٦٤ونشرته فصولا في مجلة الهلال في سبتمبر - ايلول ١٩٦٥. وفي مقدمة هذا الكتاب بعنوان "المعمارالفني.. مدخل لدراسة الرواية العربية"، وفي أغلب فصول هذا الكتاب، غلب الاهتمام بالبنية التشكيلية الفنية مدخلا ومنهجا لكشف دلالة العمل الأدبي. فعنوان أحد الفصول الخاصة بـ "الثلاثية" هو "التعبير بالشكل الفني عن الجوهر الحي" ولعلي وضعت يدي في هذا الكتاب بشكل أعمق على التداخل البنائي الحميم بين ما كنت أسميه بالشكل او الصياغة وما أسميه بالمضمون.

على أنني بعد بضعة أسابيع من عودتنا الى الحرية، كتبت مقالا في المصور (١٠ يوليو- تموز ١٩٦٤) بعنوان الفن والحرية قلت في مطلعه "عندما ندعوالأدباء الى الالتزام بقضايا عصرهم ومشكلات مجتمعهم فلسنا ندعو الى قسر أو افتعال. لسنا نحجرعلى حريتهم في التعبير ولسنا نطالبهم باثقال ضمائرهم بفيرها تنفعل به، ولسنا نقول لهم اجعلوا من أدبكم وفنكم شعارات ثورية، أو حلولا اجتماعية أو تقارير سياسية، ذلك ان الالتزام في الأدب والفن ليس نقيضا للحرية ولا يمكن ان يتم على حساب الأدب والفن. ان الحرية شرط الالتزام ولا التزام بغير حرية. (...) والأدب والفن خلق وابداع كله، ولا خلق ولا ابداع بغير حرية (...) وعندما ندعو مثلا الى التعبير عن تجربة السد العالي، شعرا او قصة او مسرحية، فلسنا ندعو الى تسجيل الاحداث التفصيلية وسردها، كدميات متناثرة، جزئية، وانما ندعو الى استخلاص الدلالة الانسانية العامة الكبيرة وراء هذا العمل العظيم، والتعبير عنها تعبيرا فنيا او أدبيا ناضجا بمختلف الاساليب والوسائل بل الموضوعات (...) وعندما ندعو الناس الى الالتزام بقضايا عصرهم ومشكلات مجتمعهم، فلسنا نقول لهم اضحكوا في غير بهجة، ودقوا طبول الأفراح الكاذبة وسط المأتم.. (...) لسنا نقول لهم كفوا عن التراجيديات والبكائيات والمراثي والاحزان ولا تكتبوا لغير المرح الكوميدي!! (...)

وعندما ندعو مثلا الى التغني بانتصارات الانسان، فان هذا لا يعني أن نطمس هذا الوتر الحزين الذي يعبر عن المجاهدة والاستشهاد وعناء الطريق، كما يعبر عن الأخطاء والأخطار والنواقص. بل لعل أروع أغنية عن الانتصار هي التي يشربها النغم الحزين، حزن الطريق الصاعد المتصل، لا حزن التوقف والضياع واليأس. ان التغني بانتصار الانسان لا يعني أبدا أن لا أحزان ولا مراجع ولا فواجع" الخ... الخ. عذرا للاطالة في الاشارة الى هذا النص الذي تمنيت أن أذكره كاملا، لولا طوله، وذلك لأني منذ أن كتبت هذا الكلام راح بعض الأدباء والنقاد المختلفين معي فكريا، راحوا يشيعون ويكتبون أنني أقول "كيف تكتبون شعرا حزينا ونحن نبني السد العالي" ! ويصبح هذا القول قضية مقطوعا بصحتها يتداولها بعض كبار كتابنا؟! والمؤسف أن يردد هذا أديب في مقام ادوار الخراط في بعض كتاباته المنشورة مؤخرا!

ثم كانت رحلتي الأولى الى أوروبا، والى فرنسا خاصة في عام ١٩٦٦، التي اطلعت فيها على بعض المذاهب النقدية الجديدة وبخاصة البنيوية. ولهذا عدت من هذه الرحلة الأولى لأكتب سلسلة من المقالات في مجلة المصور حول البنيوية التي اطلقت عليها آنذاك اسم "الهيكلية". ثم نشرتها مع مقالات أخرى عن رحلات أخرى الى أوروبا في كتاب "البحث عن أوروبا" الذي صدر عام ١٩٧٤. وفي مقالاتي عن "الهيكلية" باتجاهاتها الثلاثة الانثروبولوجية والنفسية، والتكوينية، وخاصة عن تكوينية جولدمان، رأيت انها تسهم في اضاءة الأعمال الأدبية اضاءة اجتماعية ودلالية كبيرة الا انها اقرب الى علم الاجتماع منها الى النقد الأدبي. على أن هذه المدرسة التكوينية والبنيوية عامة، وان لم أكن اتبنا ها، منهجيا وفكريا- فقد سلحتني برؤية وبوسائل اجرائية جديدة في محاولة، كشف الرابطة العضوية الحميمة بين الصياغة والمضمون في بنية الاعمال الأدبية، وفي تقديري أن كتابي "ثلاثية الرفض والهزيمة، دراسة لثلاث روايات لصنع الله ابراهيم" الذي صدر عام ١٩٨٥، يعبر في مقدمته النظرية وفي تطبيقاته، الى جانب الباب الأول من كتابي "اربعون عاما من النقد التطبيقي: البنية والدلالة في الرواية والقصة العربية" الذي صدر عام ١٩٩٤عن أرقي ما وصل اليه فهمي النظري ومعالجتي النقدية للأدب، وبخاصة القصصي والروائي. حقا، لم تختلف رؤيتي للعسل الأدبي من حيث انه بنية جدلية موحدة ذات صياغة، ابداعية فنية محايدة لمضمون يعبر بشكل غير مباشر عن موقف اجتماعي او انساني عام، الا أنني اكتسبت مزيدا من القدرة على محاولة فك عناصر ومكونات هذه البنية اجرائيا، وبخاصة في جانبها اللغوي الاسلوبي السردي الذي لم أكن أعيره من قبل أهمية تحليلية خاصة. لقد اكتشفت أن اللغة لها ملكوتها الخاص المتميز، وانها ذات طبيعة فاعلة وقدرة مبدعة ذاتية وليست مجرد اناء أو شكل خارجي او اداة للابداع. كما ازداد ادراكي وتذوقي للفاعلية الجمالية او الفنية، للعمل الأدبي وليس فقط لفاعليته الدلالية. ولهذا فالأدب عندي- كما ذكرت في نهاية مقدمة ددالبنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة"، الجدير بهذا الاسم، ددليس كينونة مجردة مطلقة خارج الحياة أو فوقها، أي ليس مجرد تشكيل جمالي في ذاته، وانما هو تشكيل ابداعي حي نابع من الحياة، وتحقق الحياة به استمرارها وتجاوزها لذاتها. انه اضافة خلاقة الى الحياة لا لمجرد وصفها او حتى نقدها، بل لتغييرها وتجديدها وتشويرها"، وقد أضيف الآن الى هذه الفقرة القديمة تحديدا خاصا بالأدب العربي الذي أراه، لا مجرد تعبير ابداعي نقدي عن الحياة في اطلاقها، أو مجرد محاولة لتجاوزها، وانما هو كذلك وأساسا تعبير ابداعي متنوع عن اشكالية، بل مأساوية هويتنا في تفريعاتها

لقد عبرت عن هذا بشكل تفصيلي في دراسة عن "هل هناك خصوصية للرواية العربية؟" بقولي في نهايتها "هناك خصوصيات متعددة للرواية العربية المعاصرة، سواء من حيث السرد الفني ام الدلالة. وتكاد هذه الخصوصيات على تنوعها ان تكون تعبيرا جماليا ونقديا عن تطلعها الى التحرر من التخلف والقهر والقمع والتسلط ومن المحاصرة والغربة والتغريب، ومن أجل تحقيق ذاتيتها الفردية والاجتماعية والقومية والانسانية، وتنميقها الى أقصى حد. وهكذا أكاد اقول ان المشترك بين هذه الخصوصيات المختلفة للرواية العربية هو البحث عن الخصوصية والهوية المنتقصة او المنتقدة والسعي الى استكمالها وتحقيقها وتأكيدها".

وتجليا تها وتناقضاتها، وماسيها المتنوعة السياسية والاجتماعية والقيمية والوطنية في اطار واقع انساني ملتبس معقد محلي وعالمي.

ولعل هذه الكلمات تعبر عن خلاصة خبرني التذوقية والنقدية للأدب في تجليه القصصي والروائي بوجه خاص في مدارس السر دية العربية المختلفة التقليدية منها والحداثية بل ما بعد الحداثية.

ولقد عبرت عن هذا بشكل تفصيلي في دراسة عن "هل هناك خصوصية للرواية العربية؟" بقولي في نهايتها "هناك خصوصيات متعددة للرواية العربية المعاصرة، سواء من حيث السرد الفني ام الدلالة. وتكاد هذه الخصوصيات على تنوعها ان تكون تعبيرا جماليا ونقديا عن تطلعها الى التحرر من التخلف والقهر والقمع والتسلط ومن المحاصرة والغربة والتغريب، ومن أجل تحقيق ذاتيتها الفردية والاجتماعية والقومية والانسانية، وتنميقها الى أقصى حد. وهكذا أكاد اقول ان المشترك بين هذه الخصوصيات المختلفة للرواية العربية هو البحث عن الخصوصية والهوية المنتقدة او المنتقصة والسعي الى استكمالها وتحقيقها وتأكيدها".

(مجلة فصول: المجلد السادس عشر العدد ٣ شتاء ١٩٩٧)

أما تذوقي ونقدي للشعر العربي وخاصة في تطوراته بعد مرحلة الستينات فلا يختلف عن تذوقي ونقدي للقمة والرواية بشكل عام كما سبق أن عرضت. ومع ذلك، فمازال للشعر مساحة خاصة اكثر تعقيدا والتباسا في تذوقي ونقدي له.

لقد أدركت منذ الاربعينات، القيمة التجديدية للشعر في شكله التفعيلي، وحاولت أن أتكشف أسراره السياغية والدلالية، وأسعى لابراز قيمته الابداعية المتجددة والمتنامية طوال الستينات، ثم في السبعينات التي كنت أتابع أثناء وجودي آنذاك في فرنسا، ما يتحقق في الشعر المصري والعربي عامة من مغامرات وتجديدات جمالية ودلالية، واكتب عن بعض نماذجها. إلا أني لم ألبث أن اصطدمت بتيار شعري عجزت عن الانفعال به لغموضه الذي بلغ أحيانا حد الانغلاق والابهام. ولم تكن العقبة هي الغموض، فالأدب بطبيعته بنية مختلفة عن بنية الكلام العادي المباشر، وهذا معنى ابداعها وتميزها الجمالي الفني. وكنت وما أزال في الحقيقة من أشد المعجبين والمتذوقين لشعر ت.س. إليوت على غموضه الشديد وبنيته الشعرية المغايرة والمتميزة، وبرغم اختلافي مع رؤيته الحضارية. وكنت أتبين تأثيره العميق في كثير من الشعراء العرب مثل ادونيس وصلاح عبدالصبور. ولهذا لم يكن عجزي عن تذوق العديد من التعابير الشعرية منذ أواخر السبعينات حتى اليوم، لا يرجع الى غموضها، بل الى تجريدها الشديد الى حد الانغلاق، والابهام الجمالي والدلالي الذي لا يكاد يوحي لي بشيء الا الاحساس بالعجز عن التذوق أو الانفعال الذوقي أو حتى الاستبصار برؤية عامة أو ذات خصوصية غير عادية. ولهذا شاركت عام ١٩٨١ في ندوة بتونس بدراسة حول "الشعر الحديث وقدرته على التوصيل". وقامت بين أدونيس وبيني اختلافات في هذه الندوة حول مفهوم الشعر؟ فأدونيس يرى (كما جاء في فاتحة لنهاية القرن ص ٢٥٢"، انه "اذا كانت الثورة تغييرا شاملا لبنية المجتمع، فان الشعر الثوري هو بالضرورة الصورة العليا لهذا التغيير. ويعني ذلك أننا كما نتخلص في الثورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من البنى القديمة، فان علينا في الشعر والثقافة أن نتخلص من أشكال التعبير القديمة" ويرى "ان الذين يطالبون اليوم بالوضوح في الشعر باسم الجماهيرية أو الثورية او الواقعية انما يطالبون في الواقع بنظم الأفكار ورصف المواقف ويطلبون من الشاعر- عمليا- أن يبقى ضمن المعاني العقلية"، وفي بحثي في هذه الندوة رددت على ذلك بقولي "ان الأمر على خلاف ما يقول أدونيس. فالذين يطالبون بالوضوح في الشعر، لا يطالبون بالخروج من شعرية الشعر، ولا بتنظيم الافكار والوقوف عند المعاي الفعلية. وأدونيس يصور الأمر كأنما هناك ما هو شعر وهناك ما ليس بشعر. حقا، هناك ما هو شعر، وهناك ما ليس بشعر، ولكن داخل ما نعده جميعا شعرا هناك شعر وهناك شعر. هناك شعر التجريد الميتافيزقي والشطح الصوفي والغربة عن هموم الحياة وقضاياها الحية، وهناك شعر الواقع والحياة النابع من همومنا وقضايانا والتطلع الى تجاوزها تجاوزا خلاقا حقيقيا لا تجاوزا موهوما زائفا".

والحق أن شعر أدونيس، رغم غموضه الشديد أحيانا، فهو يمتلئ بتجريدات عقلية، الا انه يشف كذلك عن احالات تخييلية الى هموم الواقع وقضاياه العليا، بل يكاد يكون تعبيرا عن التزام جهير أحيانا أو خلق غلالة رقيقة من التخييل الرمزي. ولهذا أكاد أقول ان القضية لم تكن قضية وضوح وفموض أو قضية تشكيل معين دون تشكيل آخر، فلست أقصر الشعر على بنيته التقليدية، أو أقف عند حدود شعر التفعيلات، أو أرفض أي تجربة من تجارب التشكيلات والأبنية الشعرية الجديدة مثل ما يسمى بقصيدة النثر مثلا، وانما القضية هي دلالة الشعر عبر بنيته التخييلية ومدى قدرة هذه البنية على التوصيل، لا التوصيل العقلاني، وانما التوصيل الفني، الذي تختلف مستوياته بفير شك باختلاف مستويات ثقافة المتلقين له. ولعلي بإثارة قضية التوصيل قد فجرت - هنا- ضمنا قضية الفاعلية الجمالية والدلالية بل قضية الالتزام بشكل غير مباشر.

وأعترف أنني ما زلت أبذل جهدا كبيرا في التذوق الجمالي والدلالي لكثير من الشعر المعاصر، أستثني من ذلك بعض الأسماء ذات الخبرات الابداعية الرفيعة. واذا كنت أستطيع القول في غير تردد أن القصة والرواية العربية، على تنوع اجتهاداتها الابداعية، قد اصبح لها اسكانتها الابداعية الرفيعة التي تتنامى وتتعمق ويتسع أفق تذوقها وتأثيرها باستمرار، دون أن أخوض هنا في قضية زمن الرواية، فاني أكاد أرى أن الشعر العربي المعاصر، منذ أواخر السبعينات وحتى اليوم رغم تنوع اجتهاداته الابداعية التي يبلغ بعضها شأوا رفيعا، فانه لم تستقر له بعد ملامح محددة، حقا هناك محاولات جادة تتجاوز البنية التقليدية أو شعر التفعيلة والنمط التراتبي أو العقلاي، وتتسم بتداخل اللحظات الشعورية، وتفجير المفارقات الدلالية وتعدد الايقاعات والأصوات وتوفر رؤية شاملة متسقة دون أن يعنى هذا انغلاقها واستواءها، وهي سمات نراها كذلك - بمستوى أو بآخر في بعض شعر ما قبل السبعينيات، بل ما قبل الستينيات، بل في بعض الاجتهادات الشعرية القديمة، الا أنني مازلت أرى انه باستثناء قلة من شعراء المرحلة الشعرية الواهنة، وبخاصة في مجال الشعر الشعبي- ولا أقول العامي في مقابل الفصيح - فان الشعر العربي المعاصر منذ أواخر السبعينات وحتى اليوم، سواء المسمى منه بشعر الحداثة أو الحساسية الجديدة، لم تستقر معالمه الابداعية بعد، وليس له في الواقع الأدبي العربي أثر كبير واضح شأن الرواية. وبمناسبة ما ذكرت من شعر الحداثة.

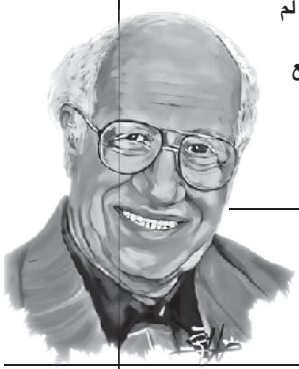

مجلة نزوى
العدد ٢٥ تموز
٢٠٠٩

محمود أمين العالم

المهنة: مفكر.. .. مناضل.. فيلسوف

د. رفعت السعيد

امتلكت مصر كثيراً من الفلاسفة المبدعين، وعاش في رحابها كثير من المناضلين السياسيين، لكن أحدا غير محمود أمين العالم لم يفعلها في مصر.. أن يجمع بين جسارة التفلسف المتقن، وإبداع النضال المتفاني.. ولهذا استحق هذه الصفحات، بل هو يستحق أكثر.. وأكثر..

في رحاب هذا العطر الدافئ المتدفق من مآذن القاهرة القديمة، وبين حواري وأزقة هذه المساحة التي تتأرج فيها أسماء تتركب أحرفها من العبق المصري الأصالة... مثل الكحكيين، والباطنية والقربية والسكرية وحيضان الموصلي ودرب المحروق، بينما تضيئها مصابيح من الأسماء اللامعة : الأزهر، الحسين، الرفاعي، المؤيد، في هذه الرحاب عاش ثلاثين عاما هي بالنسبة له «سفر التكوين» الأول، والأكثر حسما.. المصرية الحميمة المصممة على الاستحمام الدائم بطمي النيل ومائه المعطر، التدين المغموص بالسماحة الشعبية والعشق الصوفي، إعمال العقل النابع من حوارات حصيفة ومتقنة مع عشرات من مثقفي جيل يسبقه، لكننا بهذا نسبق الزمن بل نسابقه، فلنعد مع الفتى الصغير وهو يتجه في حماس خائف الى كتاب الشيخ السعدني في مدخل حارة السكرية عند بوابة المتولي، وعلى يدي الشيخ السعدني أو بالدقة مع لسعات عصاته الطويلة المدي حفظ الفتى كثيرا من القرآن، ثم قفز به الى المدرسة الرضوانية الأولية بالقربية، ومنها الى مدرسة النحاسين الابتدائية بالقرب من ميدان بيت القاضي بجوار مسجد الحسين (لم يكن الأمر سهلا، فالأب فقير، ذات صباح أوقفه أمام باب المدرسة، أخرج من «عبه» كيسا من الدمور تدحرجت منه قطع من النقود، عدها ثم عاود العد، وجدها لا تكفي، تركه على باب المدرسة وأسرع الخطى ليقترض ما تبقي لاكتمال مصروفات المدرسة من قريب له هو الشيخ منير الدمشقي صاحب المكتبة المنيرية) ويتواصل الفتى مع الدراسة عاماً، عامين ثم يقف الفقر حاجزا بينه وبين التعلم، يرضخ للأمر الواقع، وترضخ الأسرة كذلك، فقد فصلته المدرسة نهائيا لعجزه عن سداد المصروفات، صحبته أمه الى زوج أختها الشيخ منير الدمشقي وكان يمتلك مطبعة ومكتبة، وتقرر أن يتدرب الفتى ليصبح «مطبعجي»، إنها أوامر الفقر التي لا مفر منها.

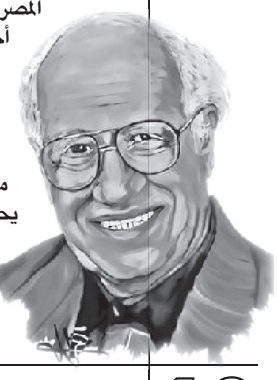

يحكي هو عن هذه التجربة «كان هدف أمي أن أتعلم صنعة بدلا من مكثي في البيت، وفي بضعة أسابيع استطعت أن أتعلم جزءا كبيرا من صندوق الحروف، تركيب الجمل والعبارات، وربطها بالخيط مع الجمل الاخرى، وأبني صفحة كاملة من الرصاص، على أني في أغلب الأوقات كنت أعمل مساعدا للعدد البسيط من العمال الذين كانوا يعملون في المطبعة، لا في الأعمال الطباعية أساسا وإنما في الخدمات الصغيرة كإحضار الشاي وشراء السجاير لهم الى غير ذلك»٠

(التكوين- مجلة الهلال - اذار ١٩٩٣)

شفاء جلالة الملك

وثمة أشياء غريبة تحدث لتغيير مسار الأشياء ، ومسار حياة البشر إنها «المصادفة» البحتة التي منحت مصر الفيلسوف المناضل محمود العالم بدلا من الأسطي محمود أمين المطبعجي٠

ويحكي هو «لم تطل غيبتي عن المدرسة إذ سرعان ما جاء خطاب رسمي منها يدعوني الى العودة معفي من أداء المصروفات!

وكان السر وراء ذلك أن الملك فؤاد كان مريضا آنذاك وشفي. فتقرر منح المجانية للمتفوقين في سنوات الدراسة الابتدائية» (المرجع السابق).

هكذا عاد لنا محمود كي يكمل مشواره نحونا. انها المصادفة البحتة. فهل هي مصادفة أن يعد رسالة الماجستير عن «المصادفة»؟

لكنه ما أن أمسك الخيط مرة اخرى حتى تشبث به بكلتا يديه، فما لبث أن حصل على جائزة من وزارة المعارف، ثم استطاع شوقي الأخ الأكبر أن ينتزع له مجانية (أو نصف مصروفات ـ لم يعد هو يتذكر على أيهما كان الأمر) بواسطة وساطة لنجيب الهلالي. ثم عندما تأرجحت دراسته الجامعية بين الانقطاع والتواصل، نزعت أخته عائشة بضع قطع من الحلي الذهبية هي كل ما امتلكت لتمنحها له كي يكمل دراسته، لكنه توظف.. ودرس، وبهذا اجتاز حاجز الفقر الذي طارده بشكل وكأنه متعمد ليمنعه من مواصلة دراسته.

مكونات التكوين

إذا أردتم أن تعرفوا من هو محمود العالم.. تجولوا بأقدام عارية، بعد أن تتوضأوا في مسجد المؤيد.. في كل حواري هذه المساحة القاهرية العريقة التي عاشها وتعايش مع مفرداتها. ثم تسلقوا شباكا من شبابيك جامع المؤيد حيث اعتاد أن يصعد ليذاكر دروسه، وافتحوا المصحف ورتلوا بعضاً من القرآن، ثم استحضروا كتبا لنيتشه، وشروحا لعبدالرحمن بدوي وتوفيق الطويل، ثم كتاب «لينين المادية والنقد التجريبي» وعددا من كتب انجلز.

(عندما تجاسر ونشر رسالته لنيل درجة الماجيستير تشرين الثاني ١٩٦٩) كتب في مقدمته لها «على أني أحب أن أعترف بشيء، لم أستطع أن أصرح به كاملاً في البحث عندما تقدمت به لنيل درجة علمية من الجامعة آنذاك، لقد بدأت هذا البحث غارقا حتى أذني في الفكر المثالي، هادفاً لاتخاذ «المصادفة» معولا لتقويض الموضوعية العلمية، وهذا ما اعترفت به في بداية البحث، أما ما لم أعترف به فهو أني خلال البحث، بل في مرحلة متقدمة منه.. التقيت بكتاب «المادية والنقد التجريبي» لمؤلفه لينين، الذي قادني بدوره الى كتاب «جدل الطبيعة» لانجلز، وكان هذا حدثا فكرياً في حياتي، قلب تصوراتي الفلسفية رأسا على عقب فأمسكت بالمعول نفسه ورحت أقوض به الفكر المثالي الذي كان يستغرقني تماما. واقتضاني هذا سنوات اخرى أخذت فيها أنسج البحث منذ البداية على نول موضوعي جديد. بل رحت أجدد كذلك حياتي الفكرية عامة، وأبدأ مرحلة جديدة من الحياة).. امزجوا هذا كله مع لويس عوض وآرائه النقدية للاشتراكية لتحاولوا أن تتعرفوا على مكونات هذا التكوين.. لكن ذلك كله لا يعطي سوى قليل من حقيقة الحقيقة.

الأب.. الابن.. والابن .. الآخر

فهنا يكمن الجوهر... «كان أبي من رجال الدين. وكان من أتباع الشيخ محمود خطاب مؤسس الجمعية الشرعية.. وكان أبي على صداقة حميمة بالشيخ محمود خطاب.. فكان يذهب اليه عصر كل يوم في مسجده الذي بناه في حارة في المغربلين بعد نهاية شارع الخيامية.. كنت أذهب مع أبي أحيانا. كنا ننتظر الشيخ عند أسفل السلالم الداخلية لبيته الذي كان ملحقاً بالمسجد، ويقبل الشيخ في عباءته الفضفاضة وجلاله المضيء الفريد الى مجلسه من ساحة المسجد، ويتحلق حوله مريدوه. وكان للشيخ محمود خطاب مهابة ما أزال استشعرها حتى اليوم. ما أزال استشعر صفاء وجهه وشفافية نفسه».

(التكوين. الهلال. اذار ١٩٩٣)

والأخ. أزهري. كفيف. هو الشيخ أحمد. كان له فضل استدراج محمود الى ساحة التعرف على العلوم الشرعية والتراث القديم بشكل عام منذ السنوات المبكرة. الأزهري الكفيف كان حريصا على أن ينقل كل كتبه الدراسية الى طريقة «برايل» وكان بحاجة الى من يمليه. أو يقرأ له «ولقد ظللت أمليه منذ أن استطعت القراءة حتى سن المراهقة. خائضا في مختلف كتب التفسير، والحديث، وأصول الدين، وعلم الكلام، واللغة الى غير ذلك، أفهم بعض المعاني ويغيب عني أغلبها، ولكني أعيش عطر ثقافة عريقة لايزال رحيقها الغامض يغمر نفسي» (المرجع السابق).. أما الابن الآخر فهو «شوقي» الذي كان نعم الأخ والأب والعائل. وكان أزهريا هو أيضا، لكنه تمرد على الأزهر وبينما لايزال في الابتدائية الأزهرية ألف كتابا ينتقد فيه الأزهر ورجاله أسماه «الأزهر فوق المشرحة» ففصل من الأزهر لكنه شق طريقه في مجال الكتابة والأدب واللغة، وتحمل عبء الدعوة لإنشاء مجمع اللغة العربية. وعندما تأسس عين موظفا فيه، ثم أصبح عضوا بالمجمع. وكانت مكتبة شوقي الزاخرة هي المنهل الذي عاش محمود في غماره زمنا طويلا، وكان شوقي صديقا حميما للأستاذ كامل كيلاني الذي كان يسمى آنذاك نقيب الأدباء، وكان داعية عالى الصوت للاهتمام بأدب الطفل والتأليف المتعدد الجوانب لهم.. وبادر هو فكتب المئات من الكتب للأطفال ما بين قصص وتاريخ وعلوم وجغرافيا وغيرها.. وإذا كان شوقي يصطحب أخاه الأصغر معه فقد اتخذ منه كيلاني معيارا أو مقياسا ليقيس به مدى تفهم الأطفال لما يكتب، ومدي قدرتهم على استيعابه، ومدي استجاباتهم له. رويدا رويدا أصبح «المقياس» شريكا في جلسات الكبار.. بل والكبار جدا. لينبهر ويواصل الانبهار بمحاورات ومناظرات وجدل راقي المستوى في مختلف مناحي المعرفة.. وهكذا كتب على الفتى أن يسبق سنه. فالشيخ أحمد يفرض عليه قراءة الشروح والمتون في الشريعة والفقه واللغويات، والشيخ (السابق) شوقي يصطحبه الى جلسات الكبار ليمتع نفسه بحواراتهم.

مكونات اخرى

لكن تكوين عقلية كعقلية محمود العالم تحتاج الى ما هو أكثر.. وهكذا تتكشف أشياء غريبة.. هوايات غريبة. لعب الشطرنج الذي تحول معه الى عشق.. وهام بالشعر، هل قرأتم بعضا من شعره؟ له أشعار كثيرة جدا. منها ملحمة بدأت برسالة الى الله.. يارب ياخالق للنار والعدم وخالق الشيخ للجنات والنعم، طرقت بابك ياربي وقد أثمت كفي كما بعت في سوق الضلال دمي كم أتمني على محمود العالم أن يتجاسر فيجمع أشعاره أو حتى بعض منها في ديوان.. فهي في نهاية الأمر ليست ملكا خاصا له.. ومع الشعر كانت الموسيقي الكلاسيكية في جماعة الجرامفون بالجامعة (هناك التقي مع طالبة من قسم اللغة الانجليزية هي سميرة الكيلاني. وفي عام ١٩٥٢ تزوجا). ومن الشعر والشطرنج والعلوم الشرعية ومناقشات الصحاب الكبار.. الى الفلسفة سريعاً رغم أنه كان موزع الجهد بين الدراسة والعمل.

وفي محطة الفلسفة اصطدم بقطار لا يرحم د. عبدالرحمن بدوي.. واستمعوا له «في المرحلة الجامعية كنت أتراوح فكريا بين نيتشوية ووجودية عبدالرحمن بدوي، واشتراكية لويس عوض «لكن الفتى لم يمتثل لأي منهما. فعقله النشط أخضع كل شيء للانتقاد المرير. وتواصل

لكن تكوين عقلية كعقلية محمود العالم تحتاج الى ما هو أكثر.. وهكذا تتكشف أشياء غريبة.. هوايات غريبة. لعب الشطرنج الذي تحول معه الى عشق.. وهام بالشعر، هل قرأتم بعضاً من شعره؟ له أشعار كثيرة جداً. منها ملحمة بدأت برسالة الى الله.. يارب ياخالق للنار والعدم وخالق الشيخ للجنات والنعم، طرقت بابك ياربي وقد أثمت كفي كما بعت في سوق الضلال دمي كم أتمني على محمود العالم أن يتجاسر فيجمع أشعاره أو حتى بعض منها في ديوان.

الاستماع اليه» والغريب أنني كنت أرى في وجودية عبدالرحمن بدوي ـ خاصة بعد أن طبع رسالته عن الزمان الوجودي ـ أنها وجودية مغدورة ـ ذلك لأنه صبها في قوالب ومقولات تجمد في رأيي آنذاك طبيعتها الوجودية.. وكان موقفي مشابها من اشتراكية لويس عوض. كنت أراها اشتراكية ملتبسة غير علمية (الهلال ايار ١٩٩٣).

وأنقذه ـ لبعض الوقت أستاذه د. يوسف مراد بمنهجه التكاملي وبعدها انغمس في جمعية «علم النفس التكاملي» التي جعلت من نفسها جسراً «بين مثاليتي وماركسيتي» كما يقول هو (أدب ونقد.. تشرين الاول ١٩٩٢).

الى الجامعة.. خارج الجامعة

عاش الجامعة موزع القلب.. طالب، موظف، قارئ، يستمع للموسيقى ينسج أشعاراً، يلعب الشطرنج، يغازل السياسية ثم ينغمس فيها، يشاكس حتى طه حسين في سلسلة مقالات مريرة وحادة ومتفجرة كتبها هو وعبدالعظيم أنيس طبعت في كتاب «في الثقافة المصرية».. وتبدت له إمكانات الاستقرار. إذ حصل على درجة الماجيستير وعين مدرساً مساعداً لمادة المنطق وفلسفة العلوم. واستقر رأيه على أن يعد رسالة الدكتورة حول موضوع «الضرورة» باعتبارها الوجه الآخر للمصادفة. كان النجم يتألق.. حصل على جائزة الشيخ مصطفى عبدالرازق للفلسفة. وأصبح برصيده الفكري ومشاغباته الحوارية ونشاطه السياسي و الثقافي واحداً من فرسان الجامعة الذين مزجوا المحاورات الفلسفية بالحديث عن الوطن، الديمقراطية و الدكتاتورية العسكرية، حرية الرأي، فهل يمكن.. أن يستمر؟.. بمعايير الزمن الناصري لم يكن الأمر ممكنا.. وطرد من الجامعة.. ونستمع اليه في عصر يوم من أيام صيف ١٩٥٤ استدعيت لمقابلة د. يحيي الخشاب عميد الكلية، وجدت معه د. لويس عوض أبلغنا د. الخشاب بحزن عميق وتأثر صادق قرار فصلنا من الجامعة، وأتذكر الآن الطريق الذي أخذنا نقطعه بتمهل لويس عوض وأنا من كلية الآداب حتى ميدان الجيزة.. ما تكلمنا كثيرا، لا شك أن حزنا ذاتيا كان يملأ قلبينا، كنت أحس شخصيا بأن حلمي بالمشروع الفلسفي أخذ يتلاشى، وأشعر بتهديد غامض لمستقبل ابنتي الوليدة، ولكني أتذكر أننا ونحن نفترق.. قلنا معا شيئا واحدا، واتفقنا عليه معا بوضوح وحسم: لن نغيب أبدا عن هذه الساحة التي نمضي نحوها، ساحة شعبنا، بلادنا، ساحة مصر كلها، سنواصل فيها الرسالة التي يؤمن بها كل منا (الهلال - مايو ١٩٩٣).

وقد وفى بوعده

عاش الجامعة موزع القلب.. طالب، موظف، قارئ، يستمع للموسيقى ينسج أشعاراً، يلعب الشطرنج، يغازل السياسية ثم ينغمس فيها، يشاكس حتى طه حسين في سلسلة مقالات مريرة وحادة ومتفجرة كتبها هو وعبدالعظيم أنيس طبعت في كتاب «في الثقافة المصرية».. وتبدت له إمكانات الاستقرار. إذ حصل على درجة الماجيستير وعين مدرساً مساعداً لمادة المنطق وفلسفة العلوم. واستقر رأيه على أن يعد رسالة الدكتورة حول موضوع «الضرورة» باعتبارها الوجه الآخر للمصادفة. كان النجم يتألق.. حصل على جائزة الشيخ مصطفى عبدالرازق للفلسفة. وأصبح برصيده الفكري ومشاغباته الحوارية ونشاطه السياسي و الثقافي واحداً من فرسان الجامعة

فقد واصل الفيلسوف حلمه الفلسفي في ساحة النضال الطبقي، دون أن يتخلى عن طاقاته الفلسفية بل وطموحاته الفلسفية. وتتوالى مراحل عدة.. لعل الكثيرين يعرفونها.. ولعل البعض لا يعرفها، لكن التعرف التفصيلي عليها يبقى أمانة واجبة السداد في عنق صاحبها.. من أجل أن تعرف الأجيال القادمة كيف عالج الفيلسوف متاهات الفعل السياسي.. والنضال الصعب المراس.. سنورد كلمات، مجرد كلمات كل منها تعني عرقا وجهدا وفكرا ونضالا.. وعذابا وما هو أكثر من العذاب، الانضمام لمنظمة النواة (لماذا النواة)؟ سألت، الإجابة: لأنها كانت تدعو لوحدة الشيوعيين وتمصير الحزب، أصبح قائدا للنواة، خاض معركة توحيد الشيوعيين، الحزب الشيوعي المصري الموحد «أصبح أحد قادته» ثم الحزب الشيوعي الواحد، لقاءات مع السادات، محاولة السادات إغراء من لا يمكن إغراءه، وتخويف من لا يمكن إخافته الاعتقال والتعذيب الوحشي في سجون الناصرية، كيف احتملت الفلسفة كل هذا العذاب؟ بل كيف كانت قادرة على منحه القدرة على الاحتمال؟ الإفراج في زمن غير الذي كان.

وفي محورآخر نجد.. الصحفي في روزاليوسف، الأديب والناقد البارز، أحد مؤسسي اتحاد الكتاب العرب.. كتابات لا تنقطع في الأدب والمنطق والفلسفة والسياسة.. محاضر في عديد من الجامعات الفرنسية.. مغترب يرفض الاغتراب عن وطنه ويرفض إغراءات كل من حاولوا احتواءه.

وفي محور ثالث.. نراه بعد السجن رئيس هيئة الكتاب، رئيس مؤسسة المسرح، رئيس مجلس إدارة دار أخبار اليوم، واحدا من قادة التنظيم الطليعي.. متهما في قضية ١٥ مايو الشهيرة.. ثم من جديد مساهما في إحياء حلمه القديم.

لكن.. ماذا عن العنوان؟

نعم «العنوان من المجد الفرعوني الى المجد الماركسي» ما معناه؟

وهو طالب في الثانوي أسس جمعية «المجد الفرعوني».. تحمس للفرعونية كتراث عريق ممتد يمكنه أن ينهض بمصر الحديثة، لكن الجماعة تلاشت في خضم اهتمامات اخرى، أما المجد الماركسي فهو أبدا لم يتلاش وهو عندي ليس بالصمود ولا احتمال التعذيب ولا التواصل ولا التضحية.. وإنما بالقدرة والتجاسر على النظر للماركسية نظرا انتقاديا أي أن تكون ماركسيا حقا إزاء ماركسية حقة.. وليس مجرد أسير لدى طقوس أو نصوص.. وقد فعل محمود العالم ذلك ولم يزل، متعرضا لانتقادات وغباوات كثيرة لعل مبعثها طاقات لا تنضب من الجهل والجهالة ولعلها أصعب وأشد وطأة من تعذيب السجون الناصرية، ما حيلة العاشق إزاء معشوقته سوى أن يستمر العشق، والعشق هنا هو النظر الانتقادي من أجل ماركسية أفضل.. وأجمل.. وأكثر التصاقا بالواقع المصري. .. وبعد

عفوا فقد تجاسرت فكتبت، فلا الصفحات تكفي، ولا أنا بقادر على أن أفيك حقك، فعذرا، وليس أمامنا سوى أن نحني رأسنا تحية لمناضل ومفكر لم تنجب مصر إلا القليلين جدا مثله.. فوداعاً يا صديق العمر الجميل.. لكن ضياء فكرك وتاريخ نضالك سيبقيان أبدا معنا ومع الأجيال القادمة.

عن جريدة "الأهالي" الأسبوعية - ١٤ كانون الثاني ٢٠٠٩

العالم نموذج للمفكر الحر

ياسين النصير

محمود أمين العالم يشكل ظاهرة إنسانية وليست ظاهرة مصرية فقط، هذا الرجل، الفيلسوف، المثقف، واحد من أساتذة أجيال من المثقفين لما امتلكه من رؤية فلسفية صائبة ومن رؤية نقدية تشخيصية للواقع الثقافي العربي، ويعد كتابه "في الثقافة المصرية" مبكرا جدا في تشخيص معنى الواقعية ومعنى الأدب الملتزم.

محمود أمين العالم ليس فقط إنسانا مثقفا مصريا وإنما هو واحد من الشخصيات الإنسانية التي ربطت الثقافة الأجنبية بأبعادها الإنسانية، بأبعادها التقدمية بالثقافة العربية، إضافة الى ذلك هو مثقف عضوي، بمعنى انه كان يشارك أبناء شعبه في قضاياهم خاصة " قضايا الحزب الشيوعي المصري" ومعروف هذا التاريخ الطويل والعريض لنضاله كان أيضا واحدا من الذين دخلوا السجون والمعتقلات وتنقلوا بين سجون الواحة وسجون القاهرة، وضمن هذه الرحلة في داخل السجون كان مبتسما ومنكتاً وساخرا من جلاديه.

وفي الكتابات التي ظهرت عنه وهي كثيرة جدا وعلى مختلف الأصعدة العربية والأجنبية، لم نجد كتابة تتشفى بموته حتى أعدائه امتدحوه وامتدحوا جهده وفكره وثقافته وصلابته ومنهجيته. لقد كان واحدا من الأساتذة الكبار الذين تبنوا المزج بين الفلسفة والأدب بين الفلسفة والثقافة بين الفلسفة والحياة الشعبية العربية، ولم يكن همه أو ميدان عمله فقط في مصر بل كان في عموم البلدان العربية .

زارنا في بغداد مرات، والتقيت أنا شخصياً به وعملت له مقابلة طويلة من عددين أ في جريدة (طريق الشعب)، وفي تلك المقابلة الكبيرة في السبعينيات ، عندما كان مقر الجريدة قرب مديرية الأمن العامة،

والتقيت به أيضا عام ١٩٩٨ في القاهرة في مؤتمر عن الثقافة العربية وذهبت الى بيته والى مكتبته في مجلة (قضايا عربية)، وتحدثنا كثيرا وبالطبع الحديث كان دائما عن القوى الوطنية العراقية .. أين وماذا وكيف وماذا تعمل ؟ كان همه في هذه الوضعية أن يعرف الكثير عن الحزب الشيوعي العراقي، كان يهمه ان يعرف الكثير عن الحركة الوطنية العراقية ، وبغض النظر عن الطبيعة لدى بعض المثقفين المصريين وعلاقتهم بالنظام السابق وهنالك كان الجو العام ان صدام حسين يمثل كذا ويمثل كذا وهذه النغمة الشائعة لدى بعض المثقفين إلا ان محمود أمين العالم ومجموعة كبيرة من المثقفين المصريين الذين نعرفهم كانوا على الضد من هذا الطرح.

محمود أمين العالم في السابعة والثمانين. ، بغض النظر عن شخصية محمود أمين العالم الذي نؤبنه الآن، ولكننا نريد ان نتحدث عن المثقف العضوي الكبير المهم و قضايا الأمة العربية وقضايا الوطن العربي وقضايا التحرر وقضايا التقدم، وهي قضايا لا تمس فقط كون محمود أمين العالم نموذج لهذا الطرح وإنما تمسنا نحن كأشخاص نشتغل في حقل الثقافة، ما هي واجبات الشعب ما هي حقوق المجتمعات على المثقف وكيف يكون المثقف في مستوى محمود أمين العالم وعمره ٨٧ سنة ولم يتخل يوماً عن قضية شعبه ولم يتخل يوماً عن القضية الوطنية ولم يتخل يوماً عن أفكاره الماركسية وعن تجديداته وعن أطروحاته وحواراته ونقاشاته وهو ليس فردا ولكن كان مجموعة متمثلة في محمود أمين العالم.

طبعاً الأشخاص على وزن ومستوى محمود أمين العالم وإن كانوا ماركسيين إلا ان نشاطهم كان وطنياً وليس حزبياً فقط، بمعنى ان المثقفين الكبار المتأصلين أبدا لا تكون نظرتهم لانتمائهم فقط وإنما نظرتهم دائماً الى مستوى أعم هو مستوى الثقافة الوطنية. وبعد خروجه من السجن عُين محمود أمين العالم مديراً للمسرح الوطني، ويتحدث المسرحيون المصريون عن هذه الفترة أنها عودة حقيقية للمسرح الجاد، للمسرح الوطني الأصيل، ففي هذه الفترة انتعشت ترجمة الفصول المسرحية الأجنبية .. ما أريد أن أقوله أن في العراق أيضاً هناك شخصيات ارتبطت بالحركة الوطنية مثل حسين الرحال وروفائيل بطي ومجموعة من الشخصيات الوطنية، بل وأسست حلقات ماركسية أولى، ولكن كان تفكيرها وعملها وطني اشمل من العمل الحزبي .. كم نحن بحاجة لأن يكون مثقفنا العربي والعراقي والمصري الحالي بهذه الروح، بهذا المنطق الإنساني الواسع الذي لا يتخندق تحت طائفة أو ملة أو تحت حزب أو تحت لافته وإنما تحت اللافتة الوطنية، إن كنت فعلاً حقيقيا .. هي كافية ان تزكي موقفك الحزبي من داخل العمل الوطني

ان محمود أمين العالم هو أول من علمنا مفهوم الواقعية والواقعية الاشتراكية بالذات كتاباته بهذا الصدد هي الأساس لتيارات النقد العربي الحديثة، وأي دراسة أكاديمية بالمناهج النقدية لابد ان تأتي الى كتابات محمود أمين العالم ..

وأشار الدكتور نصر حامد أبو زيد الى ان كتاب في الثقافة المصرية هو نقلة كبيرة جداً جداً في الدراسات الأدبية بما يسمى بالمنهج الفلولوجي والتحليل اللغوي ومنهج البيئة الذي كان أمين الخولي احد أعلامه، بأن الأدب هو انعكاس للبيئة، كان نقلة كبيرة جداً من هذه النظرية النقدية الى النظر الى العمل الأدبي باعتباره فعالية متجذرة ليس فقط في الفن وإنما متجذرة في الواقع السياسي والاجتماعي، وان الشكل الأدبي ليس هو بناء فارغا وإنما الشكل الأدبي هو الذي يحول الموضوع الى مضمون .. أول مرة نقرأ عن الفرق بين الموضوع والمضمون في الأدب وأهمية الشكل في تحويل الموضوع الى مضمون .. الموضوع يكون الحب مثلاً ويمكن ان يكون الحب موضوع مائة قصيدة ولكن كل قصيدة تحول هذا الموضوع الى مضامين .. وهذا هو النقلة الكبيرة التي قام بها كتاب (في الثقافة المصرية) ..

ويجب نذكر ، من دون ان نزعل (سيد قطب) كناقد أدبي، وسيد قطب أساسا هو ناقد أدبي، وهو ناقد أدبي ينتمي الى المدرسة الرومانسية الانطباعية ، لكن في نفس الفترة سنة ١٩٥٤ كان سيد قطب قد اكتشف نجيب محفوظ ، فهو أول من اكتشف نجيب محفوظ .. النقلة من المدرسة الكلاسيكية الفلولوجية أو الرومانسية الانطباعية الى الواقعية كانت من ١٩٥٤ من خلال كتاب محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس ومن هنا تعلمنا كلنا

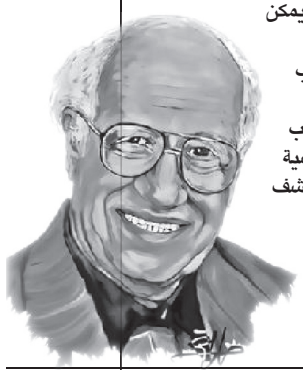

العالم اثناء تسلمه جائزة ابن رشد

من دواعي الفخر والإعتزاز أن نجتمع اليوم في " برلين لتكريم الكاتب العربي المصري الأستاذ محمود امين العالم لمنحه جائزة إبن رشد للفكر الحر لهذاالعام.
وقع الإختيار علي الأستاذ العالم بقرار من لجنة تحكيم مستقلة ضمت شخصيات ورموزاً فكرية وإبداعية من أقطار عربية مختلفة.
بالرغم من شهرة الأستاذ العالم إلا أننا نود أن نفرد سطوراً قليلة لجزء يسير من سيرته الذاتية ومراحل حياته الصاخبة والمثيرة وهو لا يزال يواصل مسيرته المضنية الأمينة وفعله التنويري في ثقافتنا العربية.
ولد محمود أمين العالم في اليوم الثامن عشر من شهر شباط عام ١٩٢٢ في حي الدرب الأحمر في القاهرة وعاش في هذا الحي الشعبي حتى بلغ الثلاثين من عمره. يقول العالم عنه:

محمود أمين العالم

المثقف الملتزم بقضايا الناس

"فأنا لا يكاد يسعدني شيء مثل العودة دائماً الى هذه الازقة القديمة الضيقة، أحس فيها بحقيقتي وأتشمم فيها عطر الأصالة والعراقة"
التحق بعد شهادة الثانوية بقسم الفلسفة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة اليوم) وحصل على شهادة الليسانس، وقد ظل طوال دراسته يقوم بعمل إضافي لتغطية تكاليف الدراسة.
حصل على درجة الماجستير من الكلية نفسها وتم تعيينه في قسم الفلسفة مدرساً مساعداً. لأسباب سياسية تم فصله في نفس العام ١٩٥٤ مع عدداً آخر من الأساتذة والمدرسين من مختلف كليات جامعة القاهرة.
هناك شخصيات نادرة في التاريخ استطاعت أن تجمع بين الإهتمام والعطاء الفكري والإبداعي وبين الإنخراط في النضال السياسي، منهم العالم، الذي استطاع بصورة خلاقة المزاوجة بينهم ليصبح مفكراً بارزاً ومناضلاً سياسياً في الوقت عينه.
صدر للعالم حتى الآن أكثر من عشرين كتاباً والعديد من الدراسات والمقالات والمحاضرات في مجلات مصرية وعربية واجنبية، وهو يشرف الآن على إصدار كتاب شبه دوري بعنوان "قضايا فكرية"، صدر منها حتي الآن عشرون عدداً. يكتب العالم في الفلسفة والنقد الأدبي والتراث العربي الإسلامي والفكر القومي السياسي.
بدأ اهتمام العالم بالفلسفة في سن مبكرة بالمرحلة الثانوية حينما بدأ يهتم بالشعر والفلسفة والشطرنج والتأمل الذاتي – كان موضوع رسالة الماجستير، في البداية، بعنوان "نظرية المصادفة في الفيزياء الحديثة" ثم قام بتغييره الى "نظرية المصادفة الموضوعية في الفيزياء الحديثة" بعد إطلاعه على الفكر الماركسي وتحوله عن الرؤية الفلسفية المثالية الى الرؤية المادية الجدلية والى الإشتراكية العلمية التي طبعت مسار حياته.حتى الآن.
يقول بنفسه مشيراً الى بحثه:– "إنه صورة من همومي الفكرية في مرحلة مبكرة من مراحل العمر. ولعل هذه الصورة أن تكون تأصيلاً لكثير من المواقف التي إتخذتها بعد ذلك".
لقد بدأت مسيرة العالم في النقد الأدبي بمجموعة مقالات ودراسات في النقد الادبي كتبها محمود العالم وعبد العظيم أنيس خلال عام ١٩٥٤، ضُمت في كتاب "في الثقافة المصرية" (١٩٥٥)، وقد أثارت المقالات وقتها معركة عرفت بأنها معركة الجديد والقديم في النقد الادبي.
بدأت المعركة بمقال لطه حسين حول صورة الأدب ومادته وعارضه الكاتبان بمقال عنوانه "الأدب بين الصياغة والمضمون" ومنذ ذلك الحين والى الآن لم تنتهِ هذه المعركة النقدية حول الكتاب، فمن مؤيد ومعارض ومن ناقد موضوعي وآخر منهافت يخرج الكتاب من السياق التاريخي والإجتماعي والسياسي التي جاءت بها مقالات الكتاب.
تابع العالم منذ الخمسينيات الإنتاج الروائي لكاتبنا الكبير "نجيب محفوظ" بالنقد والتحليل وبنهاية الثلاثية الخالدة توقف "محفوظ" لفترة طويلة ولكن عندما تفاقمت الازمات في ظل العهد الجديد – ازمة الحرية – أزمة الديمقراطية – أزمة القيم وتفشي الإنتهازية – عاد محفوظ لقلمه بمرحلة جديدة من الفكر والبناء الفني إنعكست في أعماله اللاحقة التي بدأت بروايته الرمزية الملحمية "أولاد حارتنا" والتي لا تزال محظورةً في مصر. يقول العالم عن هذه الرواية:– "إن "أولاد حارتنا" ليست كما يقال تاريخاً للبشرية و ليست كذلك تاريخاً خاصاً بمصر، إنما ببساطة – فيما أعتقد – توكيد للمعني الإنساني الصرف للأديان، توكيد أن جوهر الدين هو العدالة، هو الأمن هو الكرامة، هو الحرية، هو المحبة، هو الخير، هو التقدم للإنسان، إن الأرض ميراث للناس جميعاً وإن المحبة والعدل والأمن والرخاء والسعادة حق للناس جميعاً، هكذا يقول الأنبياء جميعاً، من آدم حتى محمد، من أدهم حتى قاسم وهكذا هو جوهر جهادهم جميعاً"
ثم أصدر العالم كتابه "أربعون عاماً من النقد التطبيقي – البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة" لم يكن نقده التطبيقي موجهاً لكبار المبدعين المصريين مثل نجيب محفوظ، توفيق الحكيم، طه حسين ويوسف إدريس فحسب، بل الى عدد كبير من المبدعين في العالم العربي. كما اهتم بالأدباء و الناشئين، كان يستمع الى قراءاتهم و يناقش ويحلل نصوصهم، ورغم ذلك يقول العالم:– "وما أكثر ما أحس بالتقصير إزاء هؤلاء الأدباء والفنانين وخاصة الناشئين منهم، عندما يجرفنا تيار الحياة الى موضوعات بعيدة عن أعمالهم".
رغم أعباء التدريس في جامعة باريس الثامنة، تابع العالم التطورات الفكرية والنظريات الأدبية الحديثة وناقش وحاور كثيراً من الفلاسفة والأدباء والماركسيين الجدد. في كتابه "ثلاثية الرفض والهزيمة"، يقدم العالم نقداً للمنهجية البنيوية في الأدب أو المنهجية الهيكلية كما يفضل ان يسميها. كما يتعرض الى النظرية ومصطلحاتها الإجرائية و أصولها وركائزها الفلسفية.
ويقول في كثير من تطبيقات المنهج البنيوي ذكاء ولمعان ما يمكن الإستفادة من نتائجه في إضاءة العمل الأدبي.
يستخدم العالم المنهج البنيوي تطبيقياً على ثلاث روايات للروائي المصري "صنع الله إبراهيم"، "تلك الرائحة"، "نجمة اغسطس" و"اللجنة". وقد ترجمت بعض روايات صنع الله إبراهيم الى الألمانية.
ناقش أفكار الشيخ على عبد الرازق، محمد عبده، حسين هيكل، طه حسين، العقاد، زكي نجيب محمود رائد الفلسفة الوضعية في مصر، عبد الرحمن بدوي الفيلسوف الوجودي المصري، وصولاً الى المفكرين القوميين واليساريين المعاصرين حسن حنفي، محمد عابد الجابري، عبد الله العروي، محمد جابر الأنصاري، محمد اركون، أدونيس، سمير أمين، طيب تيزيني، انور عبد الملك، محمد عماره وغيرهم.
ويمتد نقده، ليس الى المبدعين فحسب، بل يتعداه الى نقاد الأدب أنفسهم فيناقش نظرية الأدب أو الدراسات التطبيقية لبعض النقاد مثل سيد البحراوي وصلاح فضل و الناقد و

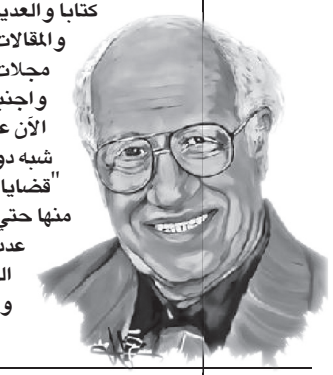

رغم أعباء التدريس في جامعة باريس الثامنة، تابع العالم التطورات الفكرية والنظريات الأدبية الحديثة وناقش وحاور كثيراً من الفلاسفة والأدباء والماركسيين الجدد. في كتابه "ثلاثية الرفض والهزيمة"، يقدم العالم نقداً للمنهجية البنيوية في الأدب أو المنهجية الهيكلية كما يفضل ان يسميها. كما يتعرض الى النظرية ومصطلحاتها الإجرائية و أصولها وركائزها الفلسفية. ويقول في كثير من تطبيقات المنهج البنيوي ذكاء ولمعان ما يمكن الإستفادة من نتائجه في إضاءة العمل الأدبي.

محمود أمين العالم،
لازلت بيننا، لم نقل وداعا

د. هاشم نعمة

ظل العالم ثابتاً على مواقفه وقناعاته الفكرية بالرغم من كل العواصف والهزات وكان في نفس الوقت لا يخشي النقدولا يتواني عن النقد الذاتي. و نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر الى قوله في إحدى إفتتاحيات "قضايا فكرية" (١٩٩٠):- "إن الدفاع المتصل عن المثال الإشتراكي المتحقق في الإتحاد السوفيتي فكراً وممارسة كان أقوى من نقد سلبياته ونواقصه". وعلى الرغم من العذابات التي عاناها العالم في سبيل معتقداته ومبادئه

الروائي في نفس الوقت أدوارد الخراط وغيرهم.
وفي كتابه "الإبداع والدلالة" يناقش ثلاثة مفاهيم هي العقلانية في الفكر، والدلالة في الإبداع الأدبي والفني، والخصوصية في الثقافة.
و العالم ليس ناقداً أدبياً فحسب بل مبدعاً شعرياً، فقد صدر له ديوانان من الشعر، وقال مرة في حوار له:- "إنني ممزق بين ثلاثة أشياء الشعر والفلسفة والعمل السياسي، بدأت شاعراً وما زال الشعر في حياتي وكثيراً ما رغبت ان أكون شاعراً فحسب وفي بعض الأحيان اجد في الفكر كل شيء لذا مات الشعر عندي".
إهتم العالم بالتراث وصدر له عام ١٩٩٧ كتاب "مواقف نقدية من التراث". كتب وحاور إبن خلدون، إبن رشد، أبو حيان التوحيدي، الإمام الشافعي و الغزالي. كتب العالم عن الفكر العربي المعاصر والفكر القومي العربي. في عام ١٩٨٦ أصدر كتابه "الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر" كما خصص عدداً كاملاً من مجلة قضايا فكرية بعنوان "الفكر العربي علي مشارف القرن الحادي والعشرين" وإستكتب فيه العالم أبرز المفكرين العرب المعاصرين في بلدان عربية مختلفة.
يقول في بحث له "الهشاشة النظرية في الفكر العربي المعاصر":- "هناك أزمة في الفكر العربي المعاصر ولا سبيل الى فصلها عن أزمة الواقع العربي نفسه، موضوعياً وتاريخياً. وتؤرخ هذه الأزمة بعصر النهضة وبما يسمي بصدمة الحضارة، اي هذا اللقاء الدرامي بين الواقع المتخلف والواقع الأوروبي المتحضر الوافد بفكره وأطماعه وعلمائه واساطيله وجيوشه منذ مفتتح القرن التاسع عشر".
ويقول في مكان آخر:- "إننا ما نزال أحوج الى فكر نظري نقدي تأسيسي، وخاصة في هذه المرحلة من حياتنا العربية التي يتفاقم فيها التشتت والتفكك والتسطح والإغتراب والتخلف في الفكر والواقع على السواء، على حين يتفجر عصرنا بمنجزات معرفية وتكنولوجية باهرة تكاد تشكل نقله جديدة في حضارة الإنسان".
ويواصل:- "لن نتجاوز تخلفنا وتبعيتنا إلا بالإمتلاك المعرفي بحقائق الثورة العلمية الجديدة، ثورة المعلوماتية وبمشروع تنموي قومي شامل ذي ابعاد إقتصادية وإجتماعية وتعلىمية وثقافية وإعلامية وقيمية. مشروع يستوعب تراثنا العربي الإسلامي إستيعاباً عقلانياً نقدياً ويضيف اليه ويستوعب حقائق عصرنا الراهن ويضيف اليه".
و من منطلق مسؤولية المثقف الملتزم بقضايا وطنه، كان ولابد من إيجاد صيغة للتعاون ولتأييد الزعيم جمال عبد الناصر القائد لمعركة العداء للإستعمار والصهيونية والرجعية وتمسكه بموقفه المبدئي، وقد نجح العالم في إيجاد هذه الصيغة، فإرتبط بنظيمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعمل في إطارها مع تصور إمكانية التحول الإجتماعي الثوري وتحقيق أهدافه وتصوراته مستفيداً من أجهزة الدولة – ثم إختلف معها فكان لابد من بالإختلاف بين رجل لا يتنازل عن مبادئه ودوره التنويري وبين قائد ثورة لا يسمح بالإختلاف والتعدد، فكان لابد ان يحدث الصدام – وعواقبه من فصل تعسفي وتشريد ثم السجون والتعذيب الرهيب.
ومع تهميش وملاحقة المثقفين المصريين الوطنيين والتقدميين، وجد العالم نفسه مضطراً أن يغادر مصر. اولاً الى بريطانيا لفترة قصيرة وبعدها الى فرنسا لتمتد إقامته بها الى احدي عشر عاماً.
ظل العالم ثابتاً على مواقفه وقناعاته الفكرية بالرغم من كل العواصف والهزات وكان في نفس الوقت لا يخشي النقدولا يتواني عن النقد الذاتي.
و نشير هنا على سبيل المثال لا الحصر الى قوله في إحدى إفتتاحيات "قضايا فكرية" (١٩٩٠):- "إن الدفاع المتصل عن المثال الإشتراكي المتحقق في الإتحاد السوفيتي فكراً وممارسة كان أقوى من نقد سلبياته ونواقصه".
وعلى الرغم من العذابات التي عاناها العالم في سبيل معتقداته ومبادئه فإنه كان من أوائل المدافعين عن عبد الناصر ومشروعه أو حلمه في الدفاع عن وطن متحرر من اشكال الإستغلال، ويقول بموضوعية:- "و الحقيقة البسيطة التي لا تنكر لثورة عبد الناصر، منذ بدايتها عام ١٩٥٢ حتى وفاته ١٩٧٠ كانت ثورة من أجل الإستقلال الوطني والتنمية الإقتصادية والإجتماعية. كانت ثورة وطنية معادية للإستعمار والإمبريالية، معادية للتخلف الإقطاعي والإحتكار الرأسمالي".
ناقش العالم في كتاباته فكر وفلسفة الحداثة وتعرض لتاريخها وواقعها في العالم الغربي وصورتها في العالم العربي يقول:- "برغم الإختلافات المتنوعة والمتناقضة لمفهوم الحداثة، فهناك ما يمكن إستخلاصه منها جميعاً في ضوء تعاملنا المعاصر مع هذا المفهوم، أي أن هناك ما يمكن إعتباره قاسماً مشتركاً عاماً، رغم هذه الإختلافات. القاسم المشترك هو مبدأ التغيير التجديدي التطويري التجاوزي للواقع الإنساني والإجتماعي". ويفرق بين الحداثة والتحديث فيقول:- "رغم التداخل والتفاعل بالضرورة بين المفهومين، إن مفهوم الحداثة يغلب على دلالته التغيير الفكري والعلمي والجمالي والقيمي عامة على حين أن مفهوم التحديث يغلب على دلالته التغيير السياسي والإجتماعي الإقتصادي".
كما قام بنقد وإدانة فكر ما بعد الحداثة مستعيناً بإسهامات مفكرين وفلاسفة أوروبيين معاصرين، تعرض من بينهم الى أفكار المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي ومدرسة فرانكفورت – النظرية النقدية في أبحاث هوركهايمر Max Horkheimer ادورنو Theodor Adorno، هربرت ماركوزا Herbert Marcuse وصولاً الي يورغن هابرماس Jürgen Habermas ، الفيلسوف الألماني المعاصر، الذي يعتبر من أبرز الفلاسفة المعاصرين تصدياً لإتجاه ما بعد الحداثة وخاصة في نقده لفوكو، دريدا، و دولوز وإمتدادهم في الفكر الألماني المعاصر. يعتبر العالم يورغن هابرماس Jürgen Habermas من أبرز المعبرين عن الإتجاه العقلاني ونقد الطابع التقني الوصفي القمعي للعقل في الممارسات الرأسمالية والإشتراكية ومحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل من خلال نظرية "العقل التواصلي" التي تجعل من الفلسفة نشاطاً عقلياً حياً فاعلاً مع الواقع الإنساني في مختلف تجلياته السياسية و الإجتماعية والإقتصادية والعلمية والتكنولوجية والفكرية والثقافية عامة.
وفي الوقت عينه يعترض العالم على نقد هابرماس لفكر ماركس ويعتبر فيه إجتزاء كبيرا وإبتسارا للفكر الماركسي.
لقد أوفيت أنت وزميلك الراحل، لويس عوض، بالعهد، وسلمتما الأمانة الى الشعب، بقولك وأنت تفترق عنه بعد فصلكما من كلية الآداب سنة ١٩٥٤، وأنتما تجتازان الطريق من ساحة الجامعة الى ميدان الجزيرة الزاخر بالناس والحركة:- "سوف نغيب عن ساحة الجامعة، ولكن لا ينبغي ان نغيب أبداً عن هذه الساحة التي نمضي نحوها، ساحة شعبنا، بلادنا، ساحة مصر كلها، سنواصل فيها الرسالة التي يؤمن بها كل منا".
في ختام مقالك بعنوان "التكوين" ١٩٩٣ تقول:-"أما أنا فما زلت في الطريق العاصف الذي بدأته منذ تلك السنوات البعيدة، اتحرك في مساراتها السياسية والفكرية والأدبية قدر طاقتي، وما زلت اتعلم واحاول ان اتكون و أتجدد كل يوم وأن أكون نافعاً للناس والثقافة".
وفي كتابك الجميل "الرحلة للآخرين" تقول:- "ما أقسى نهاية الأشياء نهاية الأيام والأعمال والأعمار، عندما لا تكون هذه النهاية كمالاً لجهد أو حتى مجرد اكتمال له بل تكون مجرد تعلق في الفضاء الأجوف، مجرد تامل مجرد".
تواصل:- "ليس الموت نهاية الحياة عندما يكون إكتمالاً صحيحاً لعمر زاخر بالجهد المثمر أو تحقيقاً لعمل مشرق، بل يكون كمالاً حياً وبداية لحياة أعمق".
ثم تواصل قائلاً:- "اللهم هبني أن أعرف – ان أعبّر – أن اعمل – ان أبدع. هبني القدرة على أن أحسن النهاية التي تضع البداية للآخرين و أن أحسن البداية التي لا تنتهي بنهايتي".
سوف نعود نحن والأجيال القادمة الى كتاباتك لتبعث فينا روح التفاؤل والأمل والتساؤل وتعلمنا ان للحياة معنى، وللنضال معنى. في كلماتك المضيئة نجد معاني الخير والحب والتسامح والجمال.
متعك الله بموفور الصحة والعافية وانت لا تزال علىَ الساحةَ تواصل عطاءك لأبناء وطنك في مصر والبلاد العربية.
تحيةٌ لك يا ضيفنا الكبير وأنت القابضُ على مُثلك، ومبادئك، مثل القابضِ على الجمرِ.
تحيةٌ لك يا ضيفنا المكرم فأنت محمود و أمين و عالم

كلمة تكريم محمود أمين العالم اثناء منحه جائزة إبن رشد للفكر الحر في برلين-٢٠٠١ ألقاها د. حامد فضل الله

سامرتنا وأنت تحلل متاعبنا نحن الكادحين، تلتقي عيناك الابتسامة بألق الفكر، عصي أنت أيها الرفيق على محن العصر ! أيها العالم، كيف ودعتنا؛ ولازالت الصباحات لم تهزم بعد عنجهية الظلام أهو أساس الوجود، سر الاختفاء !
مباركة هي الأرض التي بعثتك إلينا لتحلق مع كواكبنا الأممية.. مبارك هذا الفكر الذي خلد الحياة فيك، مع أنك ضد الخلود باعتباره ساكنا وأنت المتحرك المطلق! مع نسبية سكونك.
ليس هناك أجمل من أن يحمل المرء مشقاته لإسعاد الناس، وها أنت فعلت. لم نودعك، فلازال متسع من الوقت ، ألا تنتظر معنا فجرا أعطيته من الفكر ما أناره ؟
نستذكرك حينما كنت تروي لرفاقنا لقاءاتك بقياداتنا وبشكل خاص عن الخالد (سلام عادل) حينما زاركم في مصر متوجهاً لحضور مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية العالمية ... كنا فخورين بك، معتزين باعتزازك بحزبنا وبمناضليه، وكم سهرنا معك لتروي لنا معاناة رفاقك وكنت معهم في سجون الجلادين ..
نتذكرك متألقاً في ندوة النهج في سوريا حول إعادة البناء والتجديد والكلمة التي ألقيتها تشدنا إلى هذا الرابط الأممي العظيم ، فازددنا فخراً بك ..!
نحن هنا .. نحتفل فيك . لا نؤبنك ! فمثلك يعيش في دواخلنا حلما يسعد وجداننا نحن الحاضرين مناضلا عرفته الأقدامُ العاريةُ مثلما عرفه مناضلو مصر وكادحوها، ومثلما عرفه أعداء الحرية وجلادوها.
أيها الرفيق سلام عليك، سلام على شعبك الأبي، سلام على حزبك المقدام.
طبعاً الأشخاص على وزن ومستوى محمود أمين العالم وإن كانوا ماركسيين إلا ان نشاطهم كان وطنياً وليس حزبياً فقط، بمعنى ان المثقفين الكبار المتأصلين أبداً لا تكون نظرتهم لانتمائهم فقط وإنما نظرتهم دائماً الى مستوى أعم هو مستوى الثقافة الوطنية.
وبعد خروجه من السجن عُين محمود أمين العالم مديراً للمسرح الوطني، ويتحدث المسرحيون المصريون عن هذه الفترة أنها عودة حقيقية للمسرح الجاد، للمسرح الوطني الأصيل، ففي هذه الفترة انتعشت ترجمة الفصول المسرحية الأجنبية .. ما أريد أن أقوله أن في العراق أيضاً هناك شخصيات ارتبطت بالحركة الوطنية مثل حسين الرحال وروفائيل بطي ومجموعة من الشخصيات الوطنية، بل وأسست حلقات ماركسية أولى، ولكن كان تفكيرها وعملها وطنيا اشمل من العمل الحزبي .. كم نحن بحاجة لأن يكون مثقفنا العربي والعراقي والمصري الحالي بهذه الروح، بهذا المنطق الإنساني الواسع الذي لا يتخندق تحت طائفة أو ملّة أو تحت حزب أو تحت لافته وإنما تحت اللافتة الوطنية، إن كنت فعلاً حقيقيا .. هي كافية ان تزكي موقفك الحزبي من داخل العمل الوطني .
محمود أمين العالم يمكن ان يكون الحديث عنه قليل في هذه الجلسة ، وهنالك كثير من المثقفين والأدباء الذين التقيت بهم وهو بعد حي كانوا يتحدثون عن انجازاته وتأثرهم بأفكاره، ربما نحن في العراق أكثر سعادة وحظاً من بعض الدول العربية لأن الحزب الشيوعي العراقي كان يتبنى تماماً وإلى الآن ويمكن أنكم تعرفون أكثر مني ان موقع الحزب الشيوعي العراقي به حتى الآن مقالات محمود أمين العالم موجودة في داخل الموقع ، وهذا يدل على ان هذه الصلة مع الثقافة التقدمية ليس فقط الشيوعيين هم من يتبنوها وإنما تيارات كثيرة ..

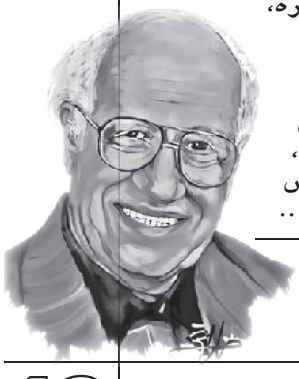

كلمة منظمة الحزب الشيوعي العراقي في هولندا

محمود أمين العالم

المعلم والإنسان

..في الحقيقة أنا أريد ان أتحدث عن محمود أمين العالم من خلال الخبرة الشخصية والعلاقة الشخصية وبعض المواقف المثيرة في هذه العلاقة. ولا أريد أن أتحدث عنه بصيغة الماضي، فمحمود أمين العالم وكثير من المثقفين العرب يعيشون بيننا ولو كانوا قد غابوا بأجسادهم، محمود أمين العالم قيمة حيّة أو نأمل ان تظل حيّة.
طبعاً أنا تلميذ لكتابات محمود أمين العالم من دون ان يعرف لكن أول مرة التقيته كنا في ندوة اليمن في عدن قبل الحرب بين الشمال والجنوب وقبل الوحدة بين الشمال والجنوب وكانت الندوة عن الفكر العربي الحديث وكانت من الندوات الأولى التي أشارك فيها وأنا فوجئت بشخصية محمود أمين العالم.

نصر حامد ابو زيد

طبعا في شبابي وبشيخوخته وبعلمه وبالصورة العظيمة التي في ذهني تخيلته رجلاً، لا تستطيع ان تقترب منه بسهولة، أو يجب ان تحاول محاولات شتى لكي تقترب منه ، لكنه كان يفوق كل التصورات الممكنة عن إمكانية التواصل الإنساني.
كنا في الطائرة من القاهرة الى عدن وكان يتحرك في الطائرة ليحدث كل إنسان، وأنا في ذلك الوقت اعتبر نفسي نكرة، ففوجئت انه يعرف اسمي وانه قرأ كتابي، وكان قد صدر لي كتاب واحد في ذلك الوقت، وانه قد قرأ ذلك الكتاب وحاولت ان أتعامل معه بأدب شديد ..(يعني ياأستاذ ، لو سمحت ، من فضلك ..) فأغضبه ذلك اشد الغضب واعتبر أنني أقيم عائقا بيني وبينه. أول حدث حدث في المؤتمر وأنا كنت شاب غوي كما يقولون ، عنيد، فلاح من قرية مصرية، ولا أريد أحدا ان يفتشني، فكنا في افتتاح المؤتمر، وسيادة رئيس الجمهورية جاء يفتتح المؤتمر، وهذا شيء جميل ان يأتي أهم مسؤول سياسي لافتتاح مؤتمر أدبي ، لكن كان يجب تفتيشنا ونحن داخلون إلى القاعة، وأنا رفضت، رفضت الخضوع للتفتيش، وقلت لن احضر الجلسة الافتتاحية حتى ينتهي السياسي مما يقول وبعد ذلك تبدأ جلسات المؤتمر وأنا احضر المؤتمر. ولم أكن أدرك أنني اسبب مشكلة، مشكلة كبيرة، يعني أنا لا احد إذا غبت عن الجلسة الافتتاحية فهذا لن يعدم المؤتمر، لكن الأستاذ محمود أمين العالم لاحظ ما حدث والحوار بيني وبين الحرس ورفضي التفتيش، وهو كان يعامل في عدن باعتباره كارل ماركس، يعني هو فوق زعامة فكرية، هو الأب الروحي فقد كان النظام في وقتها نظام ماركسي، وكان محمود أمين العالم يعامل بهالة نبوية، كأنه نبي. فلما أدرك ان نصر أبو زيد يرفض ان يفتش، عاد من داخل القاعة وكان قد خضع للتفتيش، عاد من داخل القاعة وأعلن أنه لن يحضر أيضا الجلسة الافتتاحية، وأنا استغربت فلم أتوقع من محمود أمين العالم وقد دخل فعلاً وخضع للتفتيش أربعة وعشرين قيراط ، بدون أي مشكلة، لكنه خرج من جديد من القاعة واضطر السيد المسؤول السياسي ان يخرج الحراس تماماً من الجلسة، وحضرنا الجلسة من دون تفتيش، وأنا دهشت من هذا الرجل.
بعد الجلسة الافتتاحية قال لي (أنت عنيد ومخ جزمة ، جزمة قديمة ، وسببت ان أنا لازم اتخذ موقف) فقلت له: (طيب حضرتك ليه أنت لازم تتخذ موقف إذا لم تكن مقتنع) فقال لي: (ان المصيبة أنني مقتنع) فضحكتُ كما انتم تضحكون الآن !! فقد كان قصده ان يضحك لأنني كنت غضبان وكان قصده ان يضحكني في هذا الموقف .

طوال المؤتمر ليل نهار لم أكن استطيع مجاراة محمود أمين العالم في السهر .. أنا شاب وهو عجوز سجن عدة مرات لكنه كان لا ينام قبيل الفجر فاكتشفت حيوية محمود أمين العالم، فسألته: هل السجن يعطيك هذه القوة؟ يعني انك تخوض تجربة السجن، انك تخوض تجربة الألم هل هذا يعطيك هذا الحب للحياة هذا العشق للحياة؟ فقال لي: أنت لا تعرف أنا لم اسجن فقط بل حكم عليَّ بالإعدام وكانت هذه هي أول مرة اعلم بها انه قد صدر ضده حكم بالإعدام وانه كان يستعد، ولبس البدلة الحمراء على أساس انه سينفذ فيه الحكم وفوجئ بفتح الزنزانة وتعطى له ملابسه ويفرج عنه وكان ذلك في عصر السادات.
وبعدما خرج من السجن لم يكن يعرف لماذا أخرجوه، وقد حكم بالإعدام. السبب أنه كان أدلى بشهادته في المحكمة وشهد ضد الرئيس السادات. ورجع يستلم العمل ففوجئ انه يسأل في العمل (أنت كنت غايب فين عن العمل) وعملوا له تحقيق لأنه غاب عن العمل هذه السنوات !
ذهبنا بعد المؤتمر الى صنعاء، فركبنا الطائرة من عدن الى صنعاء، وعلى أساس أننا كنا في اليمن وهي المرة الأولى التي اذهب بها الى اليمن فكنت أريد ان أتفرج على صنعاء ففوجئت بسيارة من القصر الجمهوري تنتظر محمود أمين العالم على باب الطائرة، فقال لي: (اركب ياولد معايا) وكأنني كنت في صحبة رئيس جمهورية ولكن هذا لم يمنعه من التواضع.
قضينا عشرة أيام لم أتخيل في حياتي أنها ستكون أول تجربة لي مع محمود أمين العالم الإنسان الذي لا تحس أبدا انه ذلك الفيلسوف و لا المثقف و لا المنظر للفكر الشيوعي. كل هذه الهالة التي هي صحيحة، شخصيته، يعني في شخصية محمود أمين العالم هذه الهالة صحيحة وليست هالة زائفة، ولكن على مستوى العلاقات الإنسانية تختفي تماماً هذه الهالة، ويصبح محمود أمين العالم شخص يمكن ان تحكي معه نكته و(تهزر معاه).
التقيت به بعد ذلك عدة مرات في مؤتمرات في خارج مصر، للأسف الشديد لم تتح لي الفرصة ان اقضي مع محمود أمين العالم ساعة واحدة مستمرة في مصر فكل لقاءاتي به كانت خارج مصر. آخر مرة كانت سنة ١٩٩٨، التقيت به في مدريد وكان المرض بدأ يسبب له بعض المشاكل، أصيب بتعب جعله لا يخرج من الفندق، ودخلت عليه في الغرفة قلت له: (جرى أيه يا عمي محمود، طب يعني أروح أنام و لا إيه) فقال لي: (تروح تنام مين) ونهض من سريره وبقينا سهرانين الى الصبح.
...
وأريد قبل ان أكمل كلامي عن عمي محمود أمين العالم .. أن اعلق عني أنا و العراق.. أنا عمري لم أزر العراق، أنا شفت العراق معكم في هولندا، أنا عرفت العراق من خلالكم، يعني من خلال العراقيين في المنفى.. عرفت عراق المنفى وليس عراق الاستقرار. دعيت للمربد في مجد صدام حسين ولكن رفضت، رفضت بقلة أدب، يعني أنا شخص مش متربي أحيانا ، لأنه أحيانا لا تستطيع ان تتعامل مع البشر إذا كانوا غير متربيين وتكون معهم كذلك ...!
حزين جداً لأني لم أزر العراق ... حزين حزين ... وخايف أموت من غير ما ازور العراق ... بلدين في نفسي أن أشوفهما قبل أن أموت وأنا تجاوزت الخامسة والستين، والموت يقترب شيئاً فشيئاً من أصحابنا كلهم (وكلما مات حد ننخض)! بلدين...العراق...بغداد، وفلسطين القدس. أنا دعيت طبعاً لكردستان ولكن صعبان عليّ أوي أروح للعراق من غير معديش على بغداد... أن أصل إلى بغداد في الطائرة ومن ثم المناطق الأخرى وليس لهذا أي علاقة بأي حاجه سياسية، وهي مسألة عاطفية جداً...أنا أقول العراق... لان العراق ليس بلد... العراق حضارة، وحضارة تمتد جذورها في تأريخ الحضارة الإنسانية بشكل عام.. من هنا اهتمامي بالعراق ومن هنا أمنيتي أني أعيش لغاية ما ازور بغداد وبعدين أروح الى كردستان وأي مكان آخر ونروح نهيص !! بس أروح بغداد وأحط رجلي واشرب من النهر وبعدين اذهب الى المناطق الأخرى ..
محمود أمين العالم ولد في ١٩٢٢/٢/١٩ يعني البارحة بالضبط أكمل ٨٧ سنة، عاش بشكل جيد جداً.. وأنا اعتقد ان محمود أمين العالم مات مستريح جداً، فمحمود أمين العالم لم يتوقف عن النشاط. يوم وفاته كان متأنقا بكل شياكة ومستعد للذهاب الى فرح لأحد أقاربه البعيدين ولكنه أحس بشيء من التعب فقال لشهرت: أنا تعبان لا أريد ان اذهب الى الفرح خوفاً من حصول شيء لي هناك وأسبب مشكلة لأهل الفرح .. فقرر الذهاب الى غرفة نومه لكي ينام .. دخل ونام ... ومات .. وهذه أجمل موته في الحياة .. انك تستعد هكذا وتخلع ملابسك وتدخل الى سريرك فيطلع السر الآلهي.. أنا بضحك لما بتكلم عن محمود أمين العالم واضحك لأنه أجمل ما في الإنسان أن يغادر الحياة وقد شبع منها، ومحمود أمين العالم شبع من الحياة، وقد أعطى طبعاً..فأنت لا تشبع دون ان تعطي وإلا تكون شخص أناني ومحمود أمين العالم لم يكن أنانيا.
محمود أمين العالم عطاءاته وإبداعاته خلال نصف قرن، في الفلسفة، وفي الفكر السياسي، في الفكر الأدبي، في العمل السياسي والتنظيمي، لأنه منذ فترة مبكرة جداً كان عضوا نشطا في الحزب الشيوعي المصري وأصبح احد قيادات الحزب الشيوعي المصري، بعدين ساهم في عملية حل الأحزاب الشيوعية المصرية بعد عام ١٩٦٤ بعد ان خرج من السجن .. وقصة دخوله الى السجن هذه قصة!

محمود أمين العالم عطاءاته وإبداعاته خلال نصف قرن، في الفلسفة، وفي الفكر السياسي، في الفكر الأدبي، في العمل السياسي والتنظيمي، لأنه منذ فترة مبكرة جداً كان عضوا نشطا في الحزب الشيوعي المصري وأصبح احد قيادات الحزب الشيوعي المصري، بعدين ساهم في عملية حل الأحزاب الشيوعية المصرية بعد عام ١٩٦٤ بعد ان خرج من السجن .. وقصة دخوله الى السجن هذه قصة!

محمود أمين العالم شاعر أيضا وله ديوانان في الإبداع الشعري. وفي آخر حديث إذاعي له وأنا سمعته بالصدفة بعد ما مات في الإذاعة المصرية، كانت المذيعة تسأله: وماذا تحب تسمع من الأغاني؟ وأنا فوجئت انه حافظ الأغاني التي يعتبرها جيلي حكمة الحياة المصرية. طبعاً كتبه عديدة وسوف نتعرض لبعض أفكاره لكن أهم حاجة انه في مصر أخيرا كما تعرفون كان من الصعب ان تعمل لمجلة، كمجلة ثقافية.

حل الأحزاب الشيوعية المصرية بعد عام ١٩٦٤ بعد ان خرج من السجن .. وقصة دخوله الى السجن هذه قصة!

سنة ٢٠٠٧ طلع محمود أمين العالم في لقاء مع جريدة (المصري اليوم) من اجل ان يقول أن هناك أحزابا شيوعية في مصر .. وانه على صلة مع هذه الأحزاب جميعاً وان هذه الأحزاب هي وراء إضرابات العمال المستمرة وصرخ بالصحفية عندما قالت له: أين هي هذه الأحزاب، فقال لها: لما هؤلاء العمال يضربوا من أين أتى ذلك. وحاولت الصحفية ان تعرف منه أسماء فرفض ان يشير الى الأسماء فقالت له: طيب أنت تقول أنك شيوعي، فقال لها إنني لست خائفاً من احد... أنا من قبل كنت أقول باني شيوعي وفي هذا الوقت ليس علي خطر وأنا بهذا العمر لأن الشباب الذين يعملون الآن إذا ما عرفت أسماؤهم سيتم القبض عليهم فوراً، وهذا في ظل نقد حاد للنظام ، نظام مبارك ومسألة التوريث الى آخره.

ومحمود أمين العالم شاعر أيضا وله ديوانان في الإبداع الشعري. وفي آخر حديث إذاعي له وأنا سمعته بالصدفة بعد ما مات في الإذاعة المصرية، كانت المذيعة تسأله: وماذا تحب تسمع من الأغاني؟ وأنا فوجئت انه حافظ الأغاني التي يعتبرها جيلي حكمة الحياة المصرية. طبعاً كتبه عديدة وسوف نتعرض لبعض أفكاره لكن أهم حاجة انه في مصر أخيرا كما تعرفون كان من الصعب ان تعمل تصريح لمجلة، كمجلة ثقافية...السلطة المصرية ضد المجلات الثقافية إلا إذا كانت مجلات الحكومة، فاخترعنا حاجة اسمها الكتاب غير الدوري، يعني صيغة نعمل مجلة ولكن لا نسميها مجلة، تسميها كتاب غير دوري ولكنها بالحقيقة مجلة. (العالم) عمل مجلة سماها كتاب غير دوري سماها (قضايا فكرية)، وكان لي الشرف أن اكتب في العدد الأول من هذه (القضايا الفكرية)، وأصدر منها حوالي عشرين كتابا، وهذه مكتبة كاملة، كتبت فيها كل التيارات الفكرية ليس في مصر وحدها وإنما في العالم العربي كله، سوا في الفلسفة أو النقد الأدبي أو في الثقافة أو في الفكر الديني أو في الفولكلور أو في الدراسات الفنية. هذه العشرون كتابا هي عبارة عن مكتبة كاملة ساهم في صنعها تقريباً كل المثقفين العرب.

الشيخ محمود أمين العالم اسمه العالم لأنه من عائلة من العلماء، علماء الأزهر، الأب والجد والأخ كانوا من العلماء ومن هنا صيغة العالم. وهو تربى مثلنا كلنا من الكتاب الى المدرسة الابتدائية الى المدرسة الثانوية، وهو لا يزال شاباً صغيراً في المدرسة الثانوية في سنة ١٩٣٥. كان قد حصل إلغاء دستور ١٩٣٠ وخرج في أول مظاهرة وعمره ١٣ سنة وكانت ضد حزب الوفد ، وحزب الوفد كان وقتها حزب الأغلبية، فكانت المدرسة كلها وفدية، وهو (عيّل صغير عمره ١٣ سنة) واكل علقة كما نقول في مصر: (مايكلهاش كلب في مولد) لأنه طالع يعارض الوفد.

وعندما كان في الثانوية ، عانى والده من ظروف اقتصادية صعبة، اضطر بسببها محمود ان يشتغل في مطبعة وبالتالي تكونت له خبرة في تنضيد الحروف .. لنتكلم عن حياته الفكرية .. أول كتاب أدهشه كان كتاب نيتشة: هكذا تكلم زرادشت، وهو أول كتاب هزة. كلنا نبدأ بالقراءة لحين قراءة كتاب من هذه الكتب يعمل لنا هذه الهزة الفكرية، وأنا أول كتاب عمل لي هزة هو كتاب الله للعقاد ... لا لانني لم افهم منه شيئاً .. !

كان كتاب هكذا تكلم زرادشت هو الكتاب الأول الذي قاده الى دراسة الفلسفة .. بعد ذلك تأثر بالوجودية وهذا بتأثير عبد الرحمن بدوي، لأنه دخل قسم فلسفة وعبد الرحمن بدوي كان في ذلك الوقت، نجم ومترجم الكتب الوجودية وكان احد دعاة الوجودية، فتأثر محمود أمين العالم بالوجودية، كما تأثر بالتصوف، وجمع بين نيتشة والوجودية وبين التصوف عن طريق كتاب ليون ماسينيون عن الحلاج، ولكن الكتاب الذي أعاد تنظيم مخه وتوجيه حياته هو كتاب لينين: المادية ومذهب النقد التجريبي، بمعنى انه بعد ان قرأ هذا الكتاب بدأ يعيد تنظيم مخه.

تاريخ حياته معروف، فقد عمل ماجستير عن فلسفة المصادفة في الفيزياء ودلالاتها الفلسفية، وسجل الدكتوراه ولكنه فصل من الجامعة سنة ١٩٥٤. وسبب فصله من الجامعة هو نفس سبب فصل عدد كبير جداً من أساتذة الجامعات، يجمعهم محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس رفيقه الذي كتب معه كتاب (في الثقافة المصرية). وعبد العظيم أنيس توفى بعد وفاة العالم بثلاثة أيام فقد ماتا في نفس الأسبوع، وهما أصدقاء وقد كتبا معاً أول كتاب عن الثقافة المصرية ، وعبد العظيم شخصية فذة فهو أستاذ رياضيات ومهتم بالأدب والثقافة والفلسفة ومن قيادات العمل الشيوعي في مصر، هو ومحمود أمين العالم كما نقول في مصر: (راسين في طاقية) يعني صنوان (وشربوا من ميه وحدة)، كبروا مع بعض وطلعوا مع بعض وماتوا مع بعض وكأنهم كانوا على موعد هما الاثنين مع مغادرة الحياة.

ماذا يقول شيخ الشيوعيين وكنا هكذا نسمي محمود أمين العالم ... ما هو مستقبل الثقافة في مصر؟ .. لقد كان طه حسين يؤمن بأن العمل الأدبي هو عمل لغوي، وبما انه عمل لغوي فانه يتكون من اللفظ ومن المعنى، وهذه هي النظرية الكلاسيكية في البلاغة التي يتبناها طه حسين عن الأدب، أما محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس فكان رأيهم انه ليس لفظا ومعنى، فالعمل الأدبي شكل ومضمون، وكتبوا مقالة في الرد على طه حسين، وهذه المقالة أحدثت رجة لأن (عيّلين بيردو على طه حسين)!. وكان طه حسين حينها (١٩٥٤) شيخ النقاد وشيخ الثقافة، وعلى ما أظن انه كان وزير التعليم ، فحكاية ان عيّلين لم يكن قد سمع بهم أحدا يكتبان رداً علي طه حسين .. حكاية ! فرد طه حسين قائلاً: هذا يوناني لا يفهم باعتبار ان هذا كلام فارغ ، أما العقاد فقال: أنا لا أناقشهما ولكن اضبطهما فهما شيوعيان !! وقد رفضت المقالة من اكبر قطبين للثقافة المصرية في ذلك الوقت، ولكن طه حسين كان مؤدباً في رده حين قال: يوناني لا يفهم.. ولكن العقاد مارس طبعاً سلطته بأن قال بأنهما شيوعيان .. في هذا الوقت كانت ثورة ١٩٥٢، ثورة الضباط الأحرار كما كانوا يسمون أنفسهم، تمر بأزمة سنة ٥٣، وهي أزمة الديمقراطية .. وسنة ٥٤ حصلت أزمة بين الضباط والعمال في كفر الدوار، وشنقت بعض القيادات العمالية (الخميسي والبقري الاثنين مع بعض). وكان هذا هو الدرس الحقيقي، فهل هذا النظام الجديد الذي هو الضباط الأحرار، هل هو ضد الديمقراطية، أم انه سيقيم النظام ديمقراطي؟، وانتصرت اللاديمقراطية على الديمقراطية. ومن هنا بدأ المثقفون المصريون الذين رحبوا بهذه الحركة المباركة في ذلك الوقت، بدأوا يعترضون. فقام الضباط الأحرار، وهنا الاسم فيه شيء من المفارقة، قاموا بحركة اسمها تطهير الجامعة من الفساد، وتم فصل جميع الأساتذة الذين يناؤون النظام لأنهم يطالبون بالديمقراطية، والقرار جمع بين الشيخ أمين الخولي ومحمود أمين العالم وعبد العظيم رمضان ولويس عوض (من الأزهري الى الشيوعي) .. يعني الضباط مسحوا الجامعة من أي معارضة، وجامعة القاهرة التي هي أم الجامعات المصرية مأساتها الحالية تعود الى هذا العام، الى عام ١٩٥٤، والسادات (عمل عمله) شبيهة بتلك في سنة ١٩٨١ في السنة التي قتل فيها.

فصل محمود أمين العالم من الجامعة وطبعاً مسألة ما قاله العقاد عن كونه شيوعيا كان لها دخل في هذا. ومكث محمود أمين العالم في السجن زهاء عشر سنوات تقريباً متنقلاً من سجن الواحات الى سجن كذا الى سجن القلعة الى سجن كذا، ولم يخرج من السجن إلا في عام ١٩٦٤، بعد ما كان التوجه الاشتراكي لثورة يوليو أصبح واضح المعالم، ويقال ان عبد الناصر استقبله واعتذر له، وهنا صدر قرار حل الأحزاب الشيوعية من العمل التنظيمي.

يقول محمود أمين العالم: لقد حاولت اكتشاف ما يسمى بالقانون الداخلي في العمل الفني وهذا طبعاً بتأثير الماركسية، وساعدتني الماركسية في ذلك رغم أنني كنت امتلك الخلفية التي كانت تدفعني لاكتشاف ما هو ضروري من المعارف، عرّفتني الماركسية على قانون الضرورة في المجتمع وبالتالي إمكانية اكتشاف الضرورة في الإبداع البشري، هل الضرورة كامنة في داخل العمل الفني، ان العمل الفني كائن حي قائم بذاته بما له من كيان مستقل ، لكن تميزه لا يعني انفصاله عن تاريخه أو عن واقعه ، وأتذكر أولى المعارك التي خضتها مبكراً في مجلة (روز اليوسف) (معركته مع مصطفى محمود عن العمل الأدبي ، ثم بعد ذلك يتكلم عن معركته مع طه حسين). والمقال الذي كتبه هو وعبد العظيم أنيس، بالإضافة إلى ردودهما في مقالات ثانية، وجمعت في كتاب في سنة ١٩٥٥ الذي هو كتاب في الثقافة المصرية. لا أريد ان ادخل في بعض ملامح فكر محمود أمين العالم سواءاً مفهومه عن الهوية، أو مفهومه عن العولمة أو مفهومه عن التراث أو مفهومه عن الدين، لأن ذلك متروك للنقاش .. أنا أحببت ان أقدم محمود أمين العالم، العالم والمفكر والمناضل والإنسان من زاوية معرفتي الشخصية به.

آخر مرة كلمته بالتلفون في زيارتي لمصر قبل سنة وقلت له: (أزيك ياعمي الشيخ) فقال لي: أهلا وسهلاً ياخويه ، فقلت له: أنا نصر أبو زيد.. قال لي: (ما أنا عارف فيه حد يشيّخني ويعملني شيخ غيرك أنت) قلت له: كيف صحتك فقال: عال العال، فقلت له: (متعملهاش فينا ياعمي محمود) فقال لي: (متخافش عمر الشقي بقي) وكانت هذه الكلمة عنده مكررة (عمر الشقي باقي) .. فلما مات أنا كلمت شهرت وقلت لها عملها محمود .. ولما تقول محمود، تحس انه قريب جداً من الشخص وقد عملها محمود ولكنه كان مستريّحا ، عاش حياته بالطول والعرض وعلى قدر ما أعطانا أخذ من حبنا .. محمود أمين العالم لم يكن له أعداء ، محمود أمين العالم له خصوم ولكن ليس هناك عداوة كما قال الأستاذ ياسين وهذا صحيح ، لم يكن له أعداء أبداً، لأنه لم يكن يعمل له أعداء ، لأنه كان مبتسم طوال الوقت، يعني تشتمه فيبتسم فلا يمكن ان يكون له أعداء .. وجنازته والعزاء كانت شاهداً على ذلك .. كل قيادات مصر من أول الإخوان المسلمين لغاية كل الشيوعيين الذين تسمع عنهم في الكتب ولم تكن قد رأيتهم قد وجدناهم في هذا العزاء .. وأسوأ شيء في العزاء كان الشيخ الذي كان يقرأ القرآن، فهذا الشيخ لم يكن لديه أي ذوق ، واختار من القرآن أشياء من الصعب في الحقيقة ان تقال في جنازة ! هناك مشايخ ليس عندهم ذوق، فهناك سور تقال في العزاء مثل سورة مريم وسورة الرحمن ولكن ما قرأه هو عن جهنم وما شاكلها .. يبدو ان هناك من دفع له ليقرأ هذه السور ! ويومها كنت جالسا بالقرب من صديق وقلت له (الأخوان دافعين له ومتاكلش بحكاية أنهم جايين يعزو) لأنه جلب جهنم كلها والعفاريت كلها! غير ان روح محمود أمين العالم كانت تحكم علينا ان لا نجلس بحزن ، تحكم علينا ان نبتسم ..

عندما حضنت شهر قالت لي: لا تدعني أبكي فانا لا أريد ان ابكي، فقلت لها: لا... لا أحد يبكي على محمود أمين العالم .. ان احد عبارات محمود أمين العالم هي "شاغبوا تصحّوا" ! وقد كان فعلاً مشاغباً كبيراً .. محمود أمين العالم طبعاً بعدما خرج من السجن سنة ١٩٦٤ تم حل الأحزاب الشيوعية في مصر وهذا القرار جابه معارضة من قبل الكثير من الشيوعيين المصريين، ولكن محمود أمين العالم كان مقتنعاً انه يجب ان لا يغيب الشيوعيون عن المشروع الناصري، كمشروع اشتراكي، مشروع تقدمي، مشروع يحاول إقامة مجتمع ودولة صناعية .. الى آخره.. ويجب على الفكر الشيوعي ان يكون سندا لعبد الناصر وهو كان مؤمناً بهذا، ولذلك بعد مجيء السادات خرج وعاش في فرنسا حوالي عشر سنين ولكنه عاد الى مصر بعد موت السادات ولم يعمل في أي منصب حكومي ولكنه كان جزءاً من المؤسسة الثقافية.

واستطاع جابر عصفور ان يستقطب محمود أمين العالم ليمسك لجنة الفلسفة في المجلس الأعلى للفنون والآداب الى فترة طويلة جداً، طوال حياته كان مقرر لجنة الفلسفة في المجلس الأعلى للثقافة، ولكن هذا لم يمنع محمود أمين العالم من ان يكون مشاغباً !! والحدث الذي يمكن أنكم سمعتم به عند منح صنع الله إبراهيم جائزة الرواية، وهذا من حوالي أربع سنوات، والاحتفال بمنح الرواية كان تحت الأضواء والتلفزيون والوزير وكل المسؤولين فجاء صنع الله إبراهيم لابس البدلة ومتهيأ وأعلن رفضه للجائزة !

وكان الوحيد من ضمن اللجنة التي منحت صنع الله الجائزة الذي قام وصفق له بحرارة هو محمود أمين العالم ! فلقد وقف والصحف أخذت الصورة ومحمود أمين العالم يصفق بحماسة شديدة جداً جداً لأن السبب الذي على أساسه رفض صنع الله إبراهيم الجائزة انه لا يقبل أن يأخذ جائزة تمنحها مثل هذه الحكومة.. وعمل في موقفه هذا خلل فضيع لوزير الثقافة والدنيا ! لأن صنع الله إبراهيم وبخبث الفلاحين لم يعلن موقفه عند التهيئة والتحضير لمنح الجائزة عندما طلبوا منه البيانات قبل الجائزة وقد كتبها وعمل كل شيء طلب منه ولكنه في الآخر عمل هذه القنبلة !.

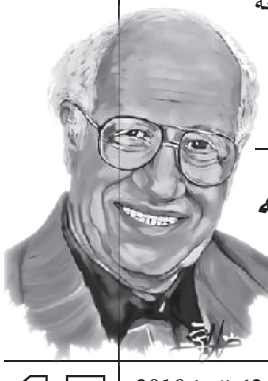

القيت في الحفل التأبيني الذي اقامه الحزب الشيوعي العراقي في هولندا

حارس الانسان

علي حسين

يشعر المثقف العربي بالاسى والاحباط وهو يري ان زمن الكبار اوشك على الرحيل.. وان الثقافة العربية اصبحت اليوم شبه خاوية وهي تفقد رموزها واحداً تلو الآخر حيث كان آخرهم المفكر والفيلسوف الكبير محمود امين العالم الذي اقترن اسمه بالماركسية ورافق طوال اكثر من سبعة عقود الحركة الشيوعية في الوطن العربي متخذاً من المنهج الماركسي طريقاً في الدفاع عن الحرية والديمقراطية والتغيير الاجتماعي مما صيغ انجازه الفكري بالتنوع بين الفلسفة والادب والترجمة والتراث وقد خاض في جميع الميادين حركته الكبيرة المتواصلة المخلصة في صف التقدم والعدل والحرية مقاوماً الظلم والتخلف والاستبداد بل لعله زاد على اقرانه المفكرين والكتاب باشتباكه العملي السياسي في المعارك اليومية الميدانية،

وفي السجال الواقعي المستعر بين قوى التخلف والرجعية وقوى التقدم في عالمنا العربي مجسداً نموذجاً ناصعاً للمثقف العضوي الذي لايكتفي بإبداعه الفكري بل ينغمس كذلك في مجريات المواجهة على الارض كي تخص الثقافة بالناس ويتحصن الناس بالثقافة.

× × ×

منذ صدور كتابه في الثقافة المصرية الذي اصدره مع عبد العظيم انيس عام ١٩٥٥ وهو الكتاب الذي حمل اصداء المعركة الشهيرة مع طه حسين والعقاد بشأن مفهوم الادب والعلاقة بين الشكل والمضمون وموقف الادب من قضايا الانسان توالت معارك العالم الثقافية في سبيل ترسيخ منهج ثقافي قائم على الاهتمام بقضايا الانسان مؤمناً بان الثقافة لايمكن لها الا ان تكون جزءاً من النسيج الاجتماعي للمجتمع العربي هكذا توالت كتابات العالم ليصدر العديد من المؤلفات ابرزها معارك فكرية، الثقافة والثورة، تأملات في عالم نجيب محفوظ، ماركيوز او فلسفة الطريق المسدود، الانسان موقف، الوجه والقناع في المسرح العربي، الرحلة الى الآخرين، البحث عن اوروبا، توفيق الحكيم مفكراً وفناناً، ثلاثية الرفض والهزيمة، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي، الماركسيون العرب والوحدة العربية، مفاهيم وقضايا، اربعون عاماً من النقد التطبيقي، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، مواقف نقدية من التراث، الابداع والدلالة، اضافة الى اشرافه على دورية وقضايا فكرية، التي ظلت تصدر طوال ثلاثين عاماً، كان فيها العالم يقدم مناقشات وتساؤلات عن ابرز القضايا التي تهم الفكر العربي المعاصر.

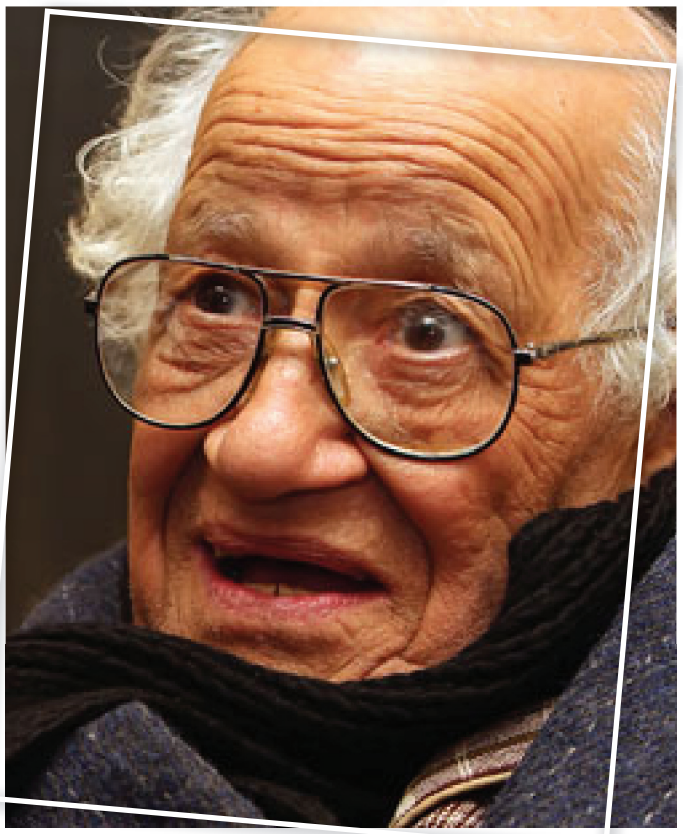

وفي مجمل كتاباته كان العالم يقدم للقارئ سيرة ذاتية لنضال رجل آمن بفكرة الانسان.. ومن هنا نجد صعوبة فصل مجمل ماتركه العالم عن حياته.. انها اكثر من تعبير شامل عن افكاره ومفاهيمه.. انها يومياته وتفاصيل هذه اليوميات.. وبقدر مايلتصق العالم بالحياة وتجاربها بقدر مايبتعد عن الوقوع في فخ الفلسفة الجامدة والثابتة، فالفلسفة لايمكن لها ان تعاش كفكرة مجردة او شكل من اشكال المفاهيم والقوانين المتعالية على الناس.. انها جزء من حياة عامة وبهذا تكشف اعمال العالم عن انفراده في قراءة المشروع الثقافي العربي وحيوية قل نظيرها عند المفكرين العرب المعاصرين وتدل ايضاً على طبيعة تفكير هذا المفكر الذي لم يتخل عن ثوابته في احلك الظروف وايضاً عن خطاب فكري حيوي يفتح باب التساؤل امام العقل كي يدفع القارىء الى متابعة كل جديد والتعرف على ابرز مدارس الفكر العالمي واقامة علاقة متصلة، بمجمل المجالات المعرفية، كما ان هذه الكتابات تدل في الدرجة الاولى على انفتاح هذا المفكر على كل ما هو جديد وقد ساهمت هذه الحيوية في ابتعاد العالم عن الجمود الفكري الذي اتصفت به المدرسة الواقعية الاشتراكية في الخمسينيات لينطلق الى آفاق أرحب مستمداً من افكار معلمه ورائده جورج لوكاش منهجاً فتح به باب الجدل والنقاش في مفهوم الواقعية وعلاقتها بالمدارس الفكرية المعاصرة.. ولم يكتف العالم بذلك بل ذهب ابعد من ذلك إذ حاول ان يقدم تعريفاً بالبنيوية والاتجاهات الفكرية المعارضة لها فكان كتابه البحث عن اوروبا الصادر عام ١٩٦٦ اول كتاب عربي يناقش بموضوعية فكرية آراء ليفي ستراوس، ورولان بارت ولويس غولد مان وهكذا كانت كتابات العالم بداية التعرف على المتغيرات الجديدة في عالم الفكر الغربي ليأخذنا في سياحة فكرية ممتعة متنقلاً من مناقشة آراء جورج لوكاش الى الوقوف بحزم امام طروحات ماركوز ونقد اجراءات البنيوية بدءاً من شتراوس وانتهاء بجاك دريدا وهي كتابات تبرز منهج العالم الذي امتاز بالمتابعة والجدية والاشتباك العقلي مع كل القضايا الفكرية المعاصرة وهي ميزة ظلت تلازمه حتى آخر ايام حياته اذا ما عرفنا ان العالم كان قد نشر له في يوم وفاته آخر مقال له وهو مقال يرد فيه على كتاب (فأن القصيدة الخرساء) للشاعر عبد المعطي حجازي وهو الرد الذي ينتصر فيه العالم لقصيدة النثر مراهناً على تأكيد انتمائها للمستقبل.

كعادة الموتى يوغل العالم في الصمت.. لكن أي صمت لرجل ظل طوال ستة عقود مالئ الدنيا وشاغل الفكر.. فهو حين يوغل في صمته فأن آثاره ومعاركه الفكرية وكتبه ودراساته وطلبته يوغلون في الحوار يراجعون بكل حب كلمات معلمهم وينتزعون منها طريقاً للمستقبل ومهما تنوعت الاساليب التي استخدمها العالم في التعبير عن آرائه وانكاره ومهما دخل في فكره من تطور بقي عنده مقصد واحد جلي لم يمل عنه اطلاقاً هو الوجود الانساني وكما كان فلاسفة الماركسية الاوائل يسعون الى ان يكونوا (حراس الحياة) في فلسفتهم سعى العالم ان يكون (حارس الانسان) في فكره ونضاله وفلسفته.

مدارات

التحرير: على حسين

التصميم: مصطفى محمد

الاشراف اللغوي: محمد السعدي